المركز الدولي للعدالة الانتقالية

لبنان

كيف يتكلم الناس عن حروب لبنان

دراسة حول تجارب سكان بيروت الكبرى وتطلعاتهم











لبنـان

كيف يتكلم الناس عن حروب لبنان

دراسة حول تجارب سكان بيروت الكبرى وتطلعاتهم

كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٤

شكر وتقدير

يقدّم المركز الدولي للعدالة الانتقالية جزيل الشكر إلى الاتحاد الأوروبي، ومؤسسة فريدريش ايبرت. فقد تولّى الاتحاد الأوروبي تمويل المشروع منذ انطلاقه ولمدة سنتين، فيما استكملت مؤسسة فريدريش ايبرت دعم المشروع خلال مرحلته الأخيرة. ويخصّ المركز الدولي للعدالة الانتقالية بالشكر المستشارَيْن الأكاديميين اللذين عقّبا على التقرير، وهما الدكتور ملحم شاوول مدير معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، والسيدة زينة منيمنة مديرة قسم عمليات المسح والبحوث، في معهد البحوث الاجتماعية في جامعة ميشيغان. هذا وتولّت الدكتورة كارمن حسون أبو جودة تنسيقَ هذا التقرير بصفتِها مديرة مكتب المركز الدولي للعدالة الانتقالية في لبنان، وقد ساعدها في ذلك فريقا العمل في بيروت ونيويورك.

المؤلفون والمساهمون

د. روميش سيلفا، شريك مؤسس ومدير Partners for Human Rights Information, Methodology & Analysis (PRIMA). عملَ على تقديم المشورة إلى المنظمات المعنيّة بحقوق الإنسان حول استخدام الأساليب العلمية من أجل جمع البيانات المتعلقة بالانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وإداراتها، وتحليلها ورفع التقارير حولها. ويشغل د. سيلفا حاليًا منصبًا في كلية بلومبرغ للصحة العامة في جامعة جون هوبكينز Johns Hopkins.

نادر أحمد، باحث في العلوم الاجتماعية، وهو حائز إجازة ودبلوم في إدارة الموارد البشرية من الجامعة الأميركية في بيروت.

ندى المغلوت، باحثة، وهي حائزة درجة الماجيستير في العلوم الاجتماعية وإجازة في الدراسات السياسية مع تخصّصٍ في حقوق الإنسان والعدالة الانتقالية من الجامعة الأميركية في بيروت.

تامي جوبيريك، شريكة مؤسسة في PRIMA وباحثة في مجال حقوق الإنسان، عمِلت مدّة عقدٍ ونيّف على تقديم المشورة إلى منظماتٍ منتشرة في العالم كلّه، حول أساليب جمع البيانات، والتحليل النوعي، والتفسير التاريخي والدمج الفعّال للتكنولوجيا بغية تطوير أهداف حقوق الإنسان.

المركز الدولي للعدالة الانتقالية

المركز الدولي للعدالة الانتقالية منظمةٌ دولية غير حكومية متخصّصة في مجال العدالة الانتقالية، تعمل على مساعدة المجتمعات التي تمرّ بمرحلة انتقالية في معالجة إرث الماضي، من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وفي بناء الثقة المدنية في مؤسسات الدولة كحاميةٍ لحقوقه. وعند وقوع الانتهاكات الجسيمة والقمع، فإن المركز يساعد المؤسسات، ومنظمات المجتمع المدني – الأفراد الذين يقودون التغيير في مجتمعاتهم ويرسمون ملامحه – في دراسة التدابير التي تسمح بالتوصّل إلى الحقيقة، والمحاسبة والتعويض عن الانتهاكات الماضية، ويكون ذلك بتقديم الخبرة التقنية والمعرفة المستندة إلى تجارب مماثلة ذات صلة بمجال العدالة الانتقالية من شتّى أنحاء العالم.
لمزيد من المعلومات: www.ictj.org/ar

فهرس المحتويات

الملخص التنفيذي

ينظر هذا التقرير في تباين التجارب التي عاشها سكّان بيروت الكبرى في زمن الحرب اللبنانية من جهة وفي تباين مواقفهم وتوقعاتهم إزاءَ أساليب مواجهة إرث العنف السياسيّ من جهة أخرى. هذا ويوثّق التقرير الطريقة التي يعتمدها أفرادٌ من مختلف شرائح المجتمع اللبناني في تصوّرهم وحديثهم حول المسائل المتعلقة بالحقيقة والذاكرة والعدالة، والمحاسبة والمصالحة وجبر الضرر الاجتماعي. إذ يتوجّه التقرير إلى الباحثين في العدالة الانتقاليّة وواضعي السياسات وأفراد المجتمع الذين يعملون في هذه المجالات. وتستند هذه الدراسة الى نقاشاتٍ جرت ضمن خمس عشرة مجموعة تركيز وذلك في أحياء مختلفة من بيروت الكبرى خلال العام ٢٠١٣.

في وقتٍ ظهر فيه تباين واضح بين المشاركين في نقاشات مجموعات التركيز، برزت بعض النقاط التي حظِيت بإجماعٍ تام. أمّا النقطةُ الأبرز التي لم تكن مُستغربة، فتجلّت في تصوّرٍ عام مفاده أنّ "الحرب لم تنتهِ بعدُ" وأنّ البلاد قد دخلت مرحلة جديدة من النّزاع. وقد اتّصفت فترة الحرب الأهلية (١٩٧٥–١٩٩٠) بأعمال العنف المسلّح، غير أنّ العنف الذي عرفته السنوات الأخيرة لا يزال يؤثّر في السّكان على نحو متزايد لا على المستويَيْن الجسديّ والأمنيّ فحسب، بل على المستويين الاقتصادي والاجتماعي أيضًا، ممّا شكّل تحدّيًا أمام المشاركين لجهة الانخراط في النقاشات والإجابة عن الاسئلة المتعلّقة بالعدالة الانتقاليّة.

وقد عبّر المشاركون عن شعورهم بأنّ لبنان بعيدٌ كلّ البعد عن مرحلةٍ انتقاليّةٍ حقيقيّة تُتيح العبور من العنف السياسي إلى السلام المستدام، وذلك نظرًا إلى عدم الاستقرار السياسي المستمر في المنطقة وإلى غياب الإصلاح المؤسساتيّ في السنوات الأخيرة. هذا واعتبرَ المشاركون أنّ هذه العدالة تبدو بعيدة المنال، فالمبادرات الرسميّة عمّمت سياسة فقدان الذاكرة، وجهود المصالحة لم تشمل أشخاصًا من خارج دوائر النخبة السياسيّة، أمّا عمليات جبر الضرر فأُعدّت ونُفّذت بمنأى عن الحاجات الماسّة والفعليّة التي تفتقرها الضحايا والجماعات الأكثر تأثرًا. وبالتّالي، أجمعَ المُشاركون على أن الانتقال الحقيقيّ والمستدام الذي من شأنه وضع حدّ لأعمال العنف المستشرية هو أمر صعب، خاصة اذا ما قورن مع غيره من النزاعات القائمة في البلدان الأخرى.

على الرغم من تلاقي المُشاركين في مُعاناتهم العنف الطائفيّ وفي خيبتهم من الواقع الراهن، تباينت أساليبهم في التحدّث عن التجارب التي عاشوها في الحرب، وفي ربطهم التجارب هذه

بالوقت الحاضر، كما اختلفَت تأثيرات هذه الأخيرة في تفكيرهم وتوقّعاتهم في ما خصّ التّعامل مع الماضي. ولم تُلحظ هذه التباينات والاختلافات بين الأحياء العديدة وحسب، بل ضمن الحيّ الواحد أيضًا لجهة تفاوت الأجيال، والنوع الاجتماعي، ومدى التعرض للعنف المتأتي من الحرب.

وقد ظهرَ انقسامٌ بين صفوف الأجيال المشاركة في مجموعات التركيز كافة. فالأشخاص الذين يقلّ عمرهم عن ٢٧ سنة، وهم بأغلبهم ممّن وُلدوا بعد العام ١٩٩٠، كانوا الأكثر تأييدًا لعملية المصارحة غير المقيدة، التي تفترضُ مُقاربةً واسعة النطاق تتخطّى حدود الدوائر الأسريّة وحدود "المحيط"[١] أو الجماعة، وحدود الوطن. وقد طالبَ هؤلاء بأن تتضحَ تفسيرات أعمال العنف الماضية وتبريراتها المُتداولة في البيوت والمدارس أكثر فأكثر. هذا وأعربَ المُشاركون الأصغر سنًّا، بشكلٍ خاص، عن رغبتهم في تحدّي "فقدان الذاكرة الجماعية" من أجل فهم منطق النزاع الماضي وطبيعة التّوترات الطائفيّة الحاليّة، وذلك بهدف تخطّي دوّامات العنف التي يشهدها لبنان.

في مقابل ذلك، ومع أنّ الأجيال الأكبر سنًّا (لاسيّما النساء) تؤيّد بشكلٍ أو بآخر التوضيحَ التاريخيّ، فهي تتبنّى رؤية حول الحقيقة والذاكرة تقوم أساسًا على تخليد ذكرى فرديّة على مستويَي الأسرة و"المحيط" أو الجماعة. وقد قدمت هذه الأجيال رؤيةً لمقاربةٍ تجمع ما بينَ التّذكر المحدود والتّناسي الجزئي الّذي يؤكد على عدم جدوى أعمال العنف. وقد أفصحَ الكثيرُ من المشاركين الأكبر سنًّا عن قلقهم في أن تُرسّخَ عمليّات التّوضيح الواسعة النطاق الانقساماتِ القائمة على أسسٍ طائفيّةٍ وأن تعمّقها أكثر بعد. لذا، فهم اعتبروا الأسرة وحدةً مفيدةً لتعزيز التّربية المدنيّة المرتبطة بماضي الحرب في لبنان. ويشكّل هذا التباين تحديًّا أمام واضعي سياسات العدالة الانتقالية، لجهة إطلاق مبادراتٍ تعتبرها الأجيال الشّابة والأكبر سنًّا بنّاءةً لدفع عجلة ترسيخ السّلام، والتّوضيح التّاريخي، والمحاسبة.

ولعلّ أكثر ما يثير الاهتمام هو المفهوم الأكثر شيوعًا عن العدالة الذي أثاره المشاركون من تلقاء أنفسهم عبر مجموعات التركيز، إذ إنّه لا يقتصر على المحاسبة الجنائية فحسب بل يركّز على فكرة المساواة القانونيّة بين الأديان والطّوائف في المجتمع اللّبنانيّ، وتبيان حقيقة أعمال العنف الماضية والإقرار بما أسفرته هذه الأعمال من ظلم. وقد شكى المشاركون جميعهم، بمن فيهم الأصغر سنًّا والأكبر سنًّا، وضحايا العنف أكان مباشرًا أم غير مباشر، والمسلمين والمسيحيّين، وحتّى المتحدّرين من أحياء مختلفة، من الظّلم والتّمييز القائمين على البنية الطّائفيّة التّي تؤجّجها المؤسّسات السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية الحاليّة. وأجمعَ المُشاركون على أن المحسوبيّة في التّرتيبات السّياسيّة قد صعّدت من حدّة التّوترات الطّائفيّة المستمرّة فهي، أي المحسوبية، تقوم على مبدأ "مُقايضة المال، والسلع أو الخدمات بالوفاء السياسي".[٢]

---

١ إنّ كلمة "محيط" هي الأقرب إلى الكلمة الإنكليزية "Surroundings" أكان ذلك في سياق البيئة، أو في السّياق السّوسيولوجي. ومع ذلك، ففي الخطاب اللّبنانيّ، تشير كلمة "محيط" أو "محيطك" الى الأماكن والفئات الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الفرد ويحدّد بها هويّته كالعائلة والجماعة والطائفة والحيّ. وتتميّز هذه الكلمة بلهجة محايدة وهي أكثر تحديدًا للإستعمال غير الرسمي وللخطاب الإعتياديّ. في المقابل، تعني الترجمة العربيّة الحرفيّة لكلمة "Community" جماعة، مجموعة أكبر أو مجتمعًا بكليّته. استخدمنا كلمة محيط في نقاشات مجموعات التركيز لتجنّب تنفير المشاركين من استعمالنا لغة غير مألوفة أو رسميّة.

٢ سامي عطالله، "Reconstruction and peace in Lebanon: Post-war economic policy," Accord, 24 (2012): 53.

بالإضافة إلى هذه المفاهيم الأساسيّة المتعلّقة بالعدالة، شدّد المُشاركون ممّن عايشوا فترة الحرب الأهليّة (أي تتراوح أعمارهم حاليًّا بين ٢٨ و٦٠ عامًا) ومن ضحايا العنف المباشر القاتِل[٣]، على أهميّة معرفة الحقيقة والإقرار بالأخطاء الماضية. وتقول سارة، وهي امرأة في منتصف العمر من سكّان شارع الحمراء قُتل شقيقها في قصفٍ خلال الحرب الأهليّة: "إنّ العدالة هي أن تعرف حقيقة من قتل أخاك، أو أباك، أو زوجك". وقد أثارَ الضحايا المباشرون المشاركون مفهومَيْن من مفاهيم العدالة، أمّا الأوّل فمُرتبطٌ مباشرة بالعنف الذي اختبروه خلال الحرب، وأمّا الثاني فتنظيميّ وأكثر شمولاً وينطوي على عدم التّمييز من جهة وعلى المساواة أمام القانون من جهة أخرى الآن وفي المستقبل.

عندما طُرح موضوع المحاسبة على أعمال عنف جرت في الماضي، أعرب المشاركون، جميعهم دونما استثناء، عن تشاؤمهم ويأسهم من إمكانية التّوصّل إلى محاسبة مُجدية في المستقبل المنظور. وتساءلوا "من قد يقوم بذلك؟" وحين سُئلوا عن رؤيتهم لشكل المحاسبة المجدية هذه، وعن أبرز أهدافها، اختلفت إجاباتهم وتنوّعت. إذ دعا عدد قليل من المشاركين إلى أمرٍ من اثنين، إمّا العفو عن الجميع أو إمّا محاكمة الجميع، غير أنّ الغالبيّة السّاحقة من المشاركين أفصحت عن رؤية عمليّة ومؤقتة لعمليّة التّطهير القائمة على الأدلة التي تمنع المسؤولين عن أعمال العنف المرتبطة بالحرب، من تولّي مناصب انتخابيّة. أمّا المُشاركون الأكبر سنًّا، فقد أيّدوا اتخاذ تدابير مُحاسبة تُطبّق حصرًا على القادة السياسيّين وزعماء الطوائف.

وفي المقابل، دعا المشاركون الأصغر سنًّا إلى توسيع نطاق المحاسبة لتشمل كلًّا من القادة والمقاتلين. ومع ذلك، سادَ إجماع عامّ على أنّ الدافعَ إلى بذل جهود المحاسبة يجب أن يتجسّد في إعادة التأكيد على سيادة القانون وفي تعزيز المساواة أمامه، لا في اتخاذ المُحاسبة كأداةٍ لتقتصّ الجماعات الطائفية بعضها من بعض.

وقد اختلفت المفاهيم التّي عبّر عنها المشاركون حول جبر الضرر الاجتماعي والشفاء اختلافًا جذريًّا فمنهم من أثارَ مفاهيمَ مصالحةٍ تنطوي على قدرٍ كبير من الفردية ومنهم من تحدّث عن إجراءاتٍ واسعة النطاق تشمل "المحيط" أو الجماعة. وكان من بين المُشاركين، ضحايا العنف المباشر الّذين رفضوا إمكانية جبر الضرر الاجتماعي والشفاء، وضحايا العنف غير المباشر الّذين دعوا إلى اعتماد مقاربة مشتركة بين الأجيال تحقيقًا لجبر الضرر الاجتماعي؛ وهي مُقاربةٌ تفترضُ اتخاذ خطواتٍ إيجابية لصالح أفرادٍ حَرَمَ العنفُ أباءهم من فرص التّعلّم والعمل، وغيرها من الفرص الاجتماعية والاقتصادية. وحدها مجموعات التركيز التي انحصرت فيها المشاركة على الأكبر سنًّا، تناولت بعض مفاهيم الشفاء وجبر الضرر الاجتماعي التي تعتمد على نسيان الماضي عبر محوه من الذاكرة الجماعية والخطاب الإجتماعي. أمّا مجموعات التركيز التّي شملت أعمارًا مختلطة أو انحصرت فيها المشاركة على الشباب، فأثارت مفاهيم للشّفاء تعتمد على تقديم خاتمة للمعاناة إلى ضحايا العنف المباشر (وذلك عن طريق توضيح ما حدث لأحبائهم أو من خلال الإقرار بالأخطاء الماضية) أو التركيز على تعزيز سيادة القانون (بغية التغلب على انعدام الثّقة والتّمييز القائمين على الطائفيّة).

٣ "ضحايا العنف القاتل المباشر" يشير إلى الأفراد الذين قُتِل أفراد أسرتهم المباشرين كنتيجة مباشرة للحرب.

غير أنّ الشّعور الموحّد الذي أجمعت عليه مجموعات التركيز تجسّد في انعدام الثّقة بقدرة القيادة السّياسيّة الحاليّة والبنى الحكوميّة القائمة على تعزيز عمليّات العدالة الانتقالية غير المُنحازة والآيلة إلى الإصلاح المؤسّساتيّ. ففي عدد من مجموعات التركيز، أعرب المشاركون أيضًا عن انعدام الثقة بدافع الجهات الحكومية الدولية الفاعلة وبقدرتها على تأدية أدوار أساسيّة في المبادرة إلى تحقيق عدالة انتقالية بنّاءة ومجدية. وعلى الرغم من انعدام الثّقة بالزّعماء السّياسيّين المحلّيّين والحكومات الأجنبيّة على نحوٍ كبير، اعتبر المشاركون ممّن دعموا فكرة "مواجهة الماضي" المجموعاتِ غير المُنحازة والمنظّماتِ غير الحكوميّة وسائل فاعلة من شأنها إيضاح الماضي وتفعيل الحوار بين الطوائف حول العدالة والمحاسبة والإصلاح المؤسّساتيّ.

لا تُعدّ نقاشات مجموعات التركيز دراسةً تمثّل شرائح المجتمع اللبنانيّ كافة، ومع ذلك، فهي سلّطت الأضواء على كثيرٍ من التحديات التي تكتنفُ مُعالجة العنف السّياسيّ وعواقبه في لبنان، الأمر الذي من شأنه أن يصبّ في خدمة الباحثين، وواضعي سياسات العدالة الانتقالية والعاملين فيها. أمّا الأهمّ من ذلك، فيتجلّى في النّتائج التي تشير إلى وجوب أن تأخذ مبادرات العدالة الانتقالية تجارب السّكّان المحلّيّين وثقافتهم بعين الاعتبار، لكي تُجدي المبادرات هذه نفعًا. ويعني ذلك، بشكلٍ خاص، إدراك كيف أنّ طبيعة المؤسسات الحاليّة وممارساتها (مثل ممارسات التّوظيف القائم على المحسوبيّة في القطاعين العامّ والخاصّ) توسّعان رقعة أعمال الظلم المرتبطة بالحرب. فتجاهل تجارب السّكّان المحلّيّين وتصوّراتهم من شأنه أن يزيد من تهميش المجتمع الّذي يعاني أصلاً انقساماتٍ عميقةً.

١. المقدّمة

على الرغم من تاريخ العنف السّياسيّ الطّويل في لبنان، حاول عدد قليل من الدراسات أن يبحث بشكل منهجي في تصوّر سكان لبنان حيال أعمال العنف وفي مواقفهم تجاه مواجهة ماضي البلاد المضطرب. وحتى اليوم، اقتصرت النقاشات والمبادرات المعدودة حول إرث الحرب الأهلية اللبنانية وآليات العدالة الإنتقالية على تلك التي أثارها أفرادٌ ينتمون إلى النّخب السّياسيّة، وآخرون يشغلون مواقع في السّلطة، والجهات الفاعلة الخارجيّة، ومناصرو حقوق الإنسان.

ومن جملة الدّراسات التّي أجرتها اللّجنة الدّوليّة للصّليب الأحمر، دراساتٌ استطلعت آراء غالبية الشّعب اللبنانيّ حول تجربتهم مع الحرب الأهليّة وحول تصوّراتهم تجاه العنف المرتبط بالحرب من منظار المعايير الإنسانيّة الدّوليّة[٤] وقد قدّرت هذه الدراسات أنّ أكثر من ٧٥ في المئة من سكّان لبنان قد تأثّروا بالحرب الأهليّة. أمّا الدراسات القائمة حاليًّا فتُركز غالبيتها على مجموعات سكّانيّة فرعيّة، أو مجموعاتٍ مُحدّدة من الضحايا ومرتكبي الجرائم، أو المرتكبين، داخل المجتمع اللّبناني.[٥]

تهدف هذه الدّراسة الى سدّ الثغرة في المؤلّفات المُتوفّرة حاليّاً عن طريق جمع البيانات النّوعيّة حول كيفية تحدّث المجموعات عن الماضي وحول اختلاف مواقف كلٍ منها تجاه مواجهة إرث الحرب. كما تسعى الدّراسة الى تجاوز الإطار الضيق المُقتصر على الضحايا والمرتكبين بغية التوصّل إلى فهم مسألتين

---

٤ حدّد استطلاع استعدادًا واسع النّطاق بين السّكان اللّبنانييّن على تقبّل الإجراءات التي اتخذت ضد المدنييّن على أنّها جزء من الحرب،
The International Committee of the Red Cross (ICRC), “The People on War Report: ICRC worldwide consultation on the rules of war,” 1999, xvii, 23, and 63–65.
وأشارت دراسة إلى أنّ المخاوف الأكثر شيوعًا خلال أوقات النّزاع المسّلح هي فقدان أحد أفراد الأسرة وفقدان الممتلكات والإصابات الجسديّة،

ICRC, “Lebanon: Opinion Survey and In-Depth Research, 2009,” 23–24.

وبحثت دراسة للجنة الدولية للصليب الأحمر أجريت عام ٢٠١٣ في توقعات أفراد أسر أولئك الذين تمّ اخفائهم قسرًا خلال الحرب وفي احتياجاتهم على حدّ سواء.

ICRC, “The Families of People Missing in Connection with the Armed Conflicts that Have Occurred in Lebanon Since 1975: An Assessment of Their Needs,” 2013, 7.

٥ على سبيل المثال، ركّزت أمم للتّوثيق والأبحاث على تجارب مقاتلين سابقين وتصوراتهم،

UMAM Documentation and Research Center, “To the Death: A Survey of the Continuing Experiences Among Fighters’ from Lebanon’s Civil Wars,” 2011, xv-xx.

فبيّنت هذه الدراسة من خلال مقابلة مباشرة مع مقاتلين سابقين، بعض التّفاوت الملحوظ في العوامل التي حفّزت هؤلاء على الانخراط في النزاع المسلّح. كما كشفت نتائج الدّراسة إمكانيّة اختلاف هذه الدّوافع بحسب أنواع أعمال العنف التّي تورّط المقاتلون بها (أو على الأقل أنواع أعمال العنف التّي شاركوا فيها وكانوا على استعداد أن يُفصحوا عنها لأمم للتّوثيق والأبحاث). وتشير هذه الدراسة إلى أن الحرب لم تكن مجرد حرب "ضد الآخرين الذين احتلوا الأراضي اللبنانية" إذ اتّخذ أفراد من المجتمع اللبناني أدوارًا فاعلة ومتنوعة طوال فترة النزاع وحدّدوا لأنفسهم مراكز واختاروا الأدوات والأساليب لتنفيذ أجنداتهم السيّاسيّة والطّائفيّة والإجتماعية. وخلصت الدّراسة إلى أن دوافع المقاتلين السابقين للّجوء إلى العنف المسلّح متعدّدةُ الأوجه واشتملت على خليط معقد من الدوافع بما في ذلك الاعتبارات الماديّة والميول الأيديولوجية والخوف والدفاع عن النفس وضغط الأقران وعوامل القربى/ الحي.

اثنتين على نحوٍ أفضل: أمّا المسألة الأولى فهي تأثّر كلّ من المجموعات المتنوّعة داخل لبنان بالحرب الأهليّة وأمّا المسألة الثانية فهي كيف طبعت التّجارب هذه، إلى جانب عواقب أعمال العنف وردود الفعل الرّسميّة وغير الرّسميّة عليها، مواقفَ الناس وتوقّعاتهم إزاءَ محاولات التّعامل مع الماضي.

ساهمت العوامل التالية في التحفيز على إجراء الدراسة:

- الحثّ على القيام بنقاشاتٍ حول العدالة الانتقالية وغيرها من الحوارات التي تُحاول معالجة مجموعة التّجارب المختلفة في لبنان؛
- توجيه السّياسات، والبرمجة، وأعمال المناصرة التي تقوم بها منظّمات المجتمع المدني التي تسعى إلى معالجة قضايا مُتعلّقة بلبنان، وماضيه المرتبط بالحرب، والمصالحة التي تلت النزاع؛
- تقديم مجموعة من الأصوات المحلية التي تغني النقاشات القائمة حول العدالة الانتقالية، مثل النقاشات حول مناهج التّاريخ اللّبنانيّ والملاحقات القضائيّة، والنّصب التّذكارية، وآليّات البحث عن الحقيقة، وجبر الضّرر، والإصلاح المؤسساتي؛
- رفع مستوى معرفة الشعب اللبنانيّ بالعدالة الانتقالية من أجل تسهيل الاستطلاعات اللّاحقة المُتعلّقة بهذا الشأن.

لطالما تجادل العاملون والباحثون في مجال حقوق الإنسان في ضرورة أنّ تُقدّمَ المجتمعات الخارجة من فترات النزاع تفسيراتٍ حول إرث العنف السياسي. وتجدر الإشارة إلى إنّ الإطار المُعتمد في هذه الدراسة هو إطار العدالة الانتقالية، التي تسعى إلى بناء السّلام وإرسائه بعد انتهاء النزاع والعنف الجماعيّ، أو الانتهاكات المنهجيّة لحقوق الإنسان. وترمي العدالة الانتقالية المعاصرة إلى الحؤول دون تكرار النّزاع المسلح وإلى تعزيز السّلام الدائم من خلال إنشاء سجل تاريخي من أجل التّصديّ للنّكران، وضمان المحاسبة والاعتراف بالضّحايا، ووضع حدّ لسياسة الإفلات من العقاب، وتعزيز المصالحة وإعادة البناء الاجتماعي السّياسيّ.[٦] وغالبًا ما تشمل مبادرات العدالة الانتقالية الملاحقات القضائيّة ولجان الحقيقة، وبرامج جبر الضرر، والإصلاح المؤسساتي، ومبادرات تخليد الذكرى.

فكما هي الحال في الأطر الأخرى، يُعدّ الإخفاق في مواجهة الماضي أمرًا قصير النظر وغير مثمر، وهو يؤدي إلى تجدّد جولات أعمال العنف، كما أنّه يُذكي الانقسامات الاجتماعية وعدم الاستقرار.[٧]

شملت الجهود الرامية إلى مواجهة إرث العنف الماضي في لبنان مجموعةً من المبادرات الرسميّة المحلية على غرار إتفاق الطّائف، وقانون العفو العامّ، وعمليات التعويض من خلال وزارة المهجرين بالإضافة إلى إجراءات محليّة غير رسمية، كمثل العمل التوثيقيّ الذي أنجزته جمعية أمم للتّوثيق والأبحاث إلى جانب مشروعها المُوجّه إلى الجماعات تحت عنوان "ما الذي يجب فعله؟ ديوان الذّاكرة

---

٦ الأمم المتّحدة،

United Nations. United Nations Approach to Transitional Justice. Guidance note of the secretary-general, 2010, 3.

٧ زلاقط،

José Zalaquett, "Confronting Human Rights Violations Committed by Former Governments: Principles Applicable and Political Constraints," in Kritz, Neil J., editor, Transitional Justice (United States Institute of Peace Press, 1995), 31.

اللّبنانيّة".[٨] وقد حاول مركز الديمقراطية المستدامة (SDC) أيضًا إشراك الشّباب في المجتمع المدنيّ، وذلك من خلال برامج محليّة مكرسة لإيجادِ حوار من أجل تحسين التعايش.[٩] أما التدابير الدولية، فقد ضمّت اللجنة الدولية التي تولّت التحقيق في انتهاكات قانون الإنسان الدولي التي قامت بها اسرائيل خلال اجتياحها لبنان (لجنة ماكبرايد) بالاضافة إلى المحكمة الدولية الخاصة بلبنان.

ومع ذلك، فإن التّدابير التّي تمّ تنفيذها لم تكن مناسبة لمعالجة إرث نزاع الماضي في لبنان إذ خلّفَ بعض هذه التّدابير، على غرار قانون العفو، أثرًا ضارًّا مؤذيًا.

وقد شدّدت المؤلّفات العلميّة الأخيرة على دور الخصوصية الثقافية وأهميّتها في التّعامل مع إرث الماضي، كما أكّدت على مدى خطورة تجاهل تجارب النّاس الفعليّة مع النزاع وصرف النظر عن رؤيتهم لمستقبلهم.[١٠] فمن الضّروريّ إذًا رسم صورة أكثر واقعية عن الأسباب التي تكمن وراء تذكّر النّاس الحرب بأشكالٍ مختلفة، ما يسمح بإدراك الباعث الذي يجعل هؤلاء يستمرّون في حمل الضّغائن ضد الأفراد والجماعات الأخرى.[١١] أمّا الدّراسات التّجريبيّة، مثل المسوحات السكانية ودراسات مجموعات التركيز، فشكّلت أداةً بالغة الأهمية إذ أتاحت فهم الاختلافات في تجارب الناس ومواقفهم وتوقعاتهم فهمًا أفضل وأحسن.[١٢] وقد لجأ العاملون في مجال العدالة الانتقاليّة إلى هذه الدّراسات على نحو متزايد لكي يفهموا بصورة أفضل التّصورات المحليّة لنزاع الماضي بالإضافة إلى التّوقعات والمخاوف، والآمال في الإنتقال إلى مستقبل أكثر عدالةً وسلامًا.[١٣]

---

٨ أمم للتّوثيق والأبحاث، كفوري،

UMAM, "Memory at Work, A Guide for Lebanese on Peace & War," 2013, www.memoryatwork.org
Liliane Kfoury, "Documenting Memories of War: UMAM & The Hangar," Accord, 24 (2012):18.

٩ على سبيل المثال، "التّعايش في لبنان: خيار أو نصيب" (٢٠٠٢/٣):

Sustainable Democracy Center, "Coexistence and Cohabitation in Lebanon: A Choice or a Destiny" (2002/3).

للمزيد من المعلومات يرجى زيارة: http://www.sdclebanon.org

١٠ أومين،

Barbara Oomen, "Examining the Implications of Global Justice." Working paper based on presentation at the Re-Imagining Peace International Seminar, Charlottesville, 2004, 6 Barbara Oomen, "Examining the Implications of Global Justice." Working paper based on presentation at the Re-Imagining Peace International Seminar, Charlottesville, 2004, 6. Sune Haugbolle, War and Memory in Lebanon (Cambridge University Press, London, 2010), 231.

١١ Sune Haugbolle, War and Memory in Lebanon (Cambridge University Press, London, 2010), 8.

في هذا الكتاب، يناقش الكاتب مبدأ "ثقافة الذّكرى" ودورها في ترسيخ "الثّقافة" الطّائفيّة في لبنان. ويؤدّي عدم توافر المعلومات المتعلّقة بالحرب وعدم التوافق بشأن ما حصل خلال الحروب الى غياب ذاكرة تاريخيّة موحّدة. أمّا استمراريّة ثقافات الذكرى أو استمراريّة المجموعات التي تحمل ذكريات متفاوتة عن الأحداث التاريخيّة المشتركة فتزيد من الضغائن والنزاعات مع الجموعات الأخرى.

١٢ كروغر وكايسي،

Richard A. Krueger and Mary Anne Casey, Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research, 4th ed. (Sage Publications, Thousand Oaks, 2009), 2 and 8.

١٣ طومس وآخرون،

Oskar N. T. Thoms et al., Center for International Policy Studies, "The effects of transitional justice mechanisms. A summary of empirical research findings and implications for analysts and practitioners," 2008.

في العراق، درسَ كلّ من المركز الدولي للعدالة الانتقالية ومركز حقوق الإنسان في جامعة كاليفورنيا في بيركلي أراء المواطنين العراقيين ومواقفهم حول المسائل التالية: من يريدون أن يحاسبوا، والمواقف تجاه المشاركة الدولية؛ وجهات نظرهم من البحث عن الحقيقة، وحفظ الذّاكرة، والعفو، والتّحريّ، وجبر الضرر، والمصالحة، وإعادة البناء الاجتماعي. (العدالة الإنتقالية وHRC / UCB، ٢٠٠٤).

Phuong Pham et al., "Human rights, transitional justice, public health and social reconstruction," Social Science and Medicine, 70:1 (2010): 98–105.

جمعت فام وآخرون أدلة على مستوى السكان في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، "لدراسة إمكانية تأثير إرادة الفاعلين المحليين والسكان المتضررين في تصميم آليات العدالة الانتقالية". ودعوا في استنتاجاتهم إلى إدماج تدابير العدالة الانتقالية ضمن تحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية أوسع لتلبية احتياجات المجتمع الأساسيّة ولتحسين جدوى جهود العدالة الانتقالية وللمساعدة في الحفاظ على السلام والاستقرار في مجتمعات ما بعد النزاع. وبالتالي، فمن الممكن للبحث العلمي الاجتماعي التطبيقيّ أن يوجّه عمل آليات العدالة الانتقالية في عمليّات إعادة البناء الاجتماعي وتشكيل تصميم محدّد لمبادرات العدالة الانتقالية. انظر: طومس وآخرون،

أُقيمت في إطار هذه الدراسة، نقاشات ضمن ١٥ مجموعة تركيز تضمّ سكّان من خمسة أحياء في بيروت الكبرى، وذلك اعتبارًا من ١٧ تموز/يوليو ٢٠١٣ وحتّى ١٤ آب/أغسطس ٢٠١٣. أمّا تشكيلة مجموعات التركيز، فقد أُعدّت على نحوٍ يسمحُ باستخراج أوجه التّباين في التجارب المتعلّقة بالحرب وفي الآراء بحسب اختلاف الأجيال، والنّوع الاجتماعي ومستويات التّعرّض للعنف المرتبط بالحرب. وسعت هذه النقاشات إلى وضع أسس تجريبيّة ترعى كيفية إجراء حوارٍ في المجتمع اللّبناني حول التّعامل مع العنف الماضي وعواقبه.

تنطوي الحرب الأهليّة اللبنانيّة على تسمياتٍ كثيرةٍ مختلفة، لكلٍّ منها مفاهيمُها الخاصة وفهمها الذاتيّ حول أسباب نشوب أعمال العنف وديناميكياتها وعواقبها. لذا، تجنّب مديرو نقاشات مجموعات التركيز اعتماد أي تسميةٍ محدّدة للدلالة على العنف المرتبط بالحرب. أمّا في عرض نتائج الدراسة، فيُعتمدُ مُصطلحٌ مُحايدٌ أكثر ألا وهو "حروب لبنان"، إذ إنّه يشير إلى الحرب التي اندلعت في العام ١٩٧٥، ويُقرّ كذلك الأمر بدور الجهات الداخلية والخارجية في العنف وفي تعدّد النزاعات.[١٤]

خلال دراسة الحالة، تمت مقارنة ومُقابلة البيانات التّي تمّ جمعها من نتائج نقاشات مجموعات التركيز بالنتائج المُستخلصة من مشروع التّاريخ الشّفويّ الذي أنجزه المركز الدولي للعدالة الانتقالية مع صفوف الحلقة الثانوية وعنوانه "بدنا نعرف". انفرَد مشروع "بدنا نعرف" بطبيعته المُميّزة، إذ سمح لطلاب الحلقة الثانويّة بجمع شهادات تاريخيّة شفويّة متعلّقة بالحرب الأهليّة من جهة وبتوثيق الروايات المفتوحة عن الحرب. وتسمحُ هذه الشهادات بإمعانِ النظر أكثر فأكثر في كيفية نقل التجارب والمعارف حول العنف المُرتبط بالحرب إلى مُراهقي يومنا هذا. وتعدّ هذه الخطوة على قدرٍ عالٍ من الأهميّة، نظرًا إلى أنّ تلامذة المدارس، ما عدا قلّة ضئيلة منهم، لم يتعرّضوا لتجربةٍ مباشرة مع العنف المتأتي من الحرب الأهلية، وأنّ كثيرًا من الكتب المدرسيّة اللّبنانية تتكتّم عن هذا الفصل المهمّ من تاريخ البلاد. وقد تبيّن من خلال الدراسة، أن مضمون الروايات وأسلوبها ينسجمان وعملية تكوين الذاكرة لدى الأجيال الأكبر والأصغر سنًّا على حدّ سواء، وذلك انطلاقًا من مبدأ "تنذكر وما تنعاد" الذي، وعلى الرغم من تشديده على عدم جدوى الحرب، لا يُسهم إلّا مُساهمةً خجولة في تعميم فهم أسباب الحرب وعواقبها.

Oskar Thoms et al., "State-Level Effects of Transitional Justice: What Do We Know?", International Journal of Transitional Justice 4 (2010), 329–354.

Oskar N. T. Thoms and James Ron, "Public Health, Conflict and Human Rights: Toward a Collaborative Research Agenda," Conflict and Health, 1:11 (2007).

١٤ تتّسم المصطلحات المستخدمة لوصف النزاعات التي جرت بالتعقيد. فاستخدام مصطلح "الحرب الأهلية" يشير بمعناه العام إلى انحصار النزاع بالأطراف اللبنانية الداخلية ولا يشمل الأطراف الخارجية. وفي هذا الإطار، لفت شاوول إلى أنّ هذا المصطلح يخفي طبيعة العنف المعقّدة في لبنان Melhem Chaoul, "La guerre sur les noms de la guerre," L'Orient le Jour, April 2008.

أمّا بيضون فاعتمد مصطلح Guerre incivile أو ما ترجمته "الحرب الهمجيّة" للتشديد على الطبيعة العشوائيّة للعنف المرتبط بالحرب والذي كان يُرتكب بحق المواطنين المدنيين.

Ahmad Beydoun, Le Liban: Itinéraires dans une guerre incivile (Karthala-CERMOC, Paris, 1993).

هذا واعتمدَ تويني مصطلح "حرب الآخرين" ويعني بذلك أن الدور الأساسي في الحرب مُناطٌ بجهات خارجية وإقليمية على الرغم من الدور المحوري الذي يؤديه عددٌ من الجهات الداخلية. ويميل الكثيرون إلى اعتبار هذا المصطلح، المصطَلح شبه الرسمي لوصف الحرب، وهو اعتُمد في عهد الرئيس إلياس الهراوي. فهذا التعريف يشير إلى أنّ الجماعات المتنافسة في لبنان قد انخرطت بشكل سلبي في الحرب لصالح جهات خارجية، وأن أعمال العنف وجدت لبنان ساحةً لها.

Ghassan Tuéni, Une Guerre Pour les Autres (Lattès, Paris, 1985).

ويؤكد شاوول على أن بعض الأوساط السياسية والصحفيين المسيحيين قد اعتمدوا هذا الوصف للحرب.

يهدف هذا التقرير إلى تقديم معلومات للدّراسات المستقبليّة والمبادرات السياسيّة، وأيّ جهود حاليّة ومستقبليّة من شأنها التعامل مع إرث الحرب الأهلية في لبنان، كما أنّه قد يقدم دروسًا قيّمة تخدُم دراساتٍ مُماثلة تُعنى بمجتمعاتٍ أخرى قد انتهت من مرحلة النّزاع. أمّا الجمهور المستهدف فهو جماعة من الباحثين، وواضعي السّياسات، والجهات الفاعلة في المجتمع المدني، والجهات المانحة المعنيّة في مجال تدابير العدالة الانتقالية في لبنان وخارجه.

وكشفت هذه الدراسة عن تناقضات وتضاربات تسود مشاعر الأفراد والجماعات حيال الماضي. فبشكل عام، تؤكّد النتائج التي تمّ التوصل إليها إلى أنه ما من مقاربة سهلة من شأنها إرساء العدالة الانتقالية في لبنان. وقد حدّدت الدراسة أيضًا أدواراً تُناطُ بالمنظمات غير الحكومية، وبالمنظمات غير المنحازة ومن شأنها أن تُعزّز النقاش العام، والحوار ضمن الجماعة، وتبادل المعرفة، وتطوير الطرق الفعّالة الآيلة إلى مُعالجة إرث الحرب المتعدد الأوجه. وتؤكد نتائج الدراسة أيضًا على أهمية أن تتمسك مختلف الأجيال والجماعات في منطقة بيروت الكبرى بمبدأ المساواة أمام القانون وبالتصدي لتحديات عمليات الإصلاح المؤسساتي الشاملة التي لا بدّ أن يواجهها واضعو سياسات العدالة الانتقالية عند التطرّق إلى إرث العلاقات والمحسوبيات في القطاعين العام والخاص.

أمّا بالنّسبة إلى الباحثين، فقد تسلّط هذه النتائج الضّوء على التحديات التي قد تطرأ عند إجراء تقييمات السكان حول تجارب الحرب التي عاشوها، وحول تصوّراتهم لمفهوم العدالة الانتقالية في لبنان. وتكمن الصّعوبة الأساسيّة في كيفيّة إفساح المجالِ أمام الناس ليتحدّثوا عن التّعامل مع أعمال العنف الماضية، وذلك في ظلّ الإجماع السائد على أنّ دوّامات العنف السياسي المتكرّرة لم تنتهِ بعد. كما تركّز هذه الدّراسة على الحاجة إلى توفير مقارباتٍ متخصّصة من شأنها دراسة الطريقَة التي يعتمدها النّاس في حديثهم عن أعمال العنف الماضية وفي تفكيرهم حول سبل التعامل مع إرث الأعمال هذه. وتُشدّد النّتائج، بشكلٍ خاص، على أهميّة فهم التّباين في تجارب النّاس وتصوّراتهم حول أسباب الحرب ونتائجها، وذلك استنادًا إلى اختلاف الأجيال، والطوائف، ومستوى التّعرّض لأعمال العنف.

وأمّا بالنسبة إلى واضعي السّياسات والعاملين في مجال العدالة الانتقاليّة، فتشير النّتائج إلى حاجةٍ غير ملبّاة، هي الحاجة إلى تشجيع إجراء نقاشاتٍ على صعيد المجتمع ككلّ، وتجنّب المُقاربات الضّيّقة التي تتعامل مع جولاتٍ محددة من أعمالِ العنف أو مع أشكالٍ مُعيّنة منه وحسب. إذ يُفترض بهذه النقاشات أن تنتقدَ أعمال العنف والجهود الرّسميّة السّابقة التّي تعالج مسائل الذاكرة، والمحاسبة، والإصلاح المؤسّساتيّ.

وقد لاحظت هذه الدّراسة انفتاحًا على مستوى الجماعة، تجاه بناء حوارٍ شاملٍ وصريح أكثر حول التّحديات المرتبطة بالتّعامل مع ماضي لبنان، وبالتّالي إقامة الجسور بين الانقسامات القائمة عبر المساحات الجغرافيّة، والمُنبثقة من اختلاف الهويات السياسية، والأجيال، والتباين في تجارب الحرب.

وقد أجريت هذه الدّراسة كجزء من برنامج المركز الدولي للعدالة الانتقالية الذي يحمل عنوان "معالجة إرث النّزاعات في مجتمع منقسم" ويرمي إلى إحاطة واضعي السّياسات علمًا بحاجات الضحايا وتوقّعاتهم المتعلّقة بالنّزاعات المتعاقبة في لبنان منذ عام ١٩٧٥، ولا سيّما لجهة العدالة والمحاسبة، وذلك بغية وضع مقاربات جديدة من أجل مواجهة الماضي. وقد أُصدِرَ في إطار

هذا المشروع مسحٌ يُعدّد انتهاكات القانون الدّوليّ لحقوق الإنسان في لبنان من العام ١٩٧٥ وحتّى العام ٢٠٠٨ [١٥]، بالاضافة إلى دراسةٍ حول الإفلات من العقاب في لبنان منذ الحرب الأهلية وحتّى اليوم، بحيث تُسلّط الدراسة الضّوء على التكلفة التي يتكبّدها المُجتمع اللبناني نتيجةَ فشل السّلطات في معالجة إرث نّزاع الماضي. [١٦] هذا وقد صدَرت أيضًا مجموعة من التوصيات وجّهتها هيئات المجتمع المدني إلى الحكومة اللبنانية حول التدابير الواجب اتخاذها لمواجهة إرث الماضي. [١٧]

١٥ المركز الدولي للعدالة الانتقالية: "إرث لبنان من العنف السياسي، مسح للانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ما بين عامَي ١٩٧٥ و٢٠٠٨"، ٢٠١٣.

ICTJ, “Lebanon’s Legacy of Political Violence: A Mapping of Serious Violations of International Human Rights and Humanitarian Law in Lebanon, 1975–2008,” 2013.

١٦ المركز الدولي للعدالة الانتقالية: "عدم التعامل مع الماضي: أي تكلفة على لبنان؟"، ٢٠١٤.

ICTJ, “Failing to Deal with the Past: What Cost to Lebanon?”, 2014.

١٧ المركز الدولي للعدالة الانتقالية، "مواجهة إرث العنف السياسي في لبنان: برنامج للتغيير"، ٢٠١٤.

ICTJ, “Confronting the Legacy of Political Violence in Lebanon: An Agenda for Change” 2014.

٢. السياق التاريخي

بين العامين ١٩٧٥ و١٩٩٠، تغلغلت النّزاعات المسلّحة وأعمال العنف السّياسيّ واسعة النطاق في الحياة اليوميّة في لبنان بحيث أثّرت في النّاس والجماعات على امتداد الوطن. فانتشرت السيارات المفخخة، وازداد القصف الجوّيّ، ومعارك الدّبّابات، وسعرت حرب الشّوارع في المدن، وكثُرت الإغتيالات المستهدفة، وساد الإخفاء القسريّ، والتقنيص، حتّى أمست هذه الأعمالُ خبزَ المواطن اللبنانيّ وملحه، وهي أفعالٌ ارتكبتها المجموعات المسلّحة الدّاخليّة والقوى الخارجيّة. وكما تبيّن في تقرير المركز الدولي للعدالة الانتقالية الذي صدر في العام ٢٠١٣ تحت عنوان "إرث لبنان من العنف السّياسيّ"،[١٨] أدّت الانتفاضات الطّبقيّة والاقتتال الطّائفيّ خلال تلك الفترة إلى النّزوح الجماعيّ للسّكّان، والقتل، والإخفاء القسريّ، وإلى إصابات في صفوف المدنيّين.

ولعلّ إحدى موروثات النزاع الرئيسة تجسّدت في تفشي الإفلات من العقاب الذي مُنحَ لمن يتحملون المسؤولية الأكبر عن العنف وتأثيره في المجتمع.[١٩] زد على ذلك أنّ الجهود الخجولة التّي بذلتها الحكومات المتعاقبة في التّعامل مع أعمال العنف الماضية تفتقرُ المصداقيّة من حيث التفويض والمسار، كما أنّها فاقمت مشكلة تهميش الضحايا.[٢٠]

تعمل الحكومة اللّبنانية منذ عقود وفق صيغة تُوزّع بموجبها الوظائفُ السّياسيّة والإداريّة على الطّوائف الدّينيّة الرّئيسة. وتتجذر هذه الصيغة تجذّرًا عميقًا في التّاريخ، فقد أقرّها رسميًّا الميثاق الوطني الصادر عام ١٩٤٣ الّذي أعادَ موضعة لبنان فاعتبره كيانًا حياديًّا ومستقلًا وسياديًّا، وذا "وجه عربي".[٢١] وقد أعلن الميثاق هذا أنّ لبنان لن يسعى إلى الوحدة مع سوريا والعالم العربي أو إلى إقامة علاقاتٍ خاصّة مع فرنسا أو الغرب. هذا ووَضعَ الميثاق صيغةً طائفيّة تستند إلى حدٍّ كبيرٍ إلى إحصاء العام ١٩٣٢ في لبنان، فوزّعَ التّمثيل الحكومي بنسبة ٦ مقاعد للمسيحيين مقابل ٥ مقاعدٍ للمسلمين.

تاريخيًّا، يُعتبر لبنان ملاذًا آمنًا للأقليّات، وقد عُرِفَ باستقباله المعارضين والمشرّدين والمتمرّدين، ومن هم إيديولوجيًّا على خلافٍ مع الأنظمة المجاورة. فكان من بين الوافدين إليه الأرمن والأكراد والآشوريون في العامٍ ١٩١٤، والفلسطينيون بعد العام ١٩٤٨، والمعارضون بُعيد

١٨ المركز الدّوليّ للعدالة الإنتقالية، "إرث لبنان من العنف السياسي، مسح للانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ما بين عامَي ١٩٧٥ و٢٠٠٨"، ٢٠١٣.

ICTJ, “Lebanon’s Legacy of Political Violence: A Mapping of Serious Violations of International Human Rights and Humanitarian Law in Lebanon, 1975–2008,” 2013, ix.

١٩ نصّار، Habib Nassar, “Too little justice in Lebanon,” Now, March, 2011

٢٠ المركز الدّوليّ للعدالة الإنتقالية، "عدم التعامل مع الماضي: أي تكلفة على لبنان؟"، ٢٠١٤.

ICTJ, “Failing to Deal with the Past: What Cost to Lebanon?,” 2014, v, 5.

٢١ فاعور،

Muhammad A. Faour, “Religion, Demography, and Politics in Lebanon,” Middle Eastern Studies, 43:6 (2007), 910.

أزمة السّويس في العام ١٩٥٦.[٢٢] فكانَ أن زادَ تدفّق الأقليّات هذا من تنوّع لبنان الذّي يحوي أصلاً ١٨ طائفة مُختلفة ينتمي إليها مجمل السّكان البالغ عددهم أربعة ملايين نسمة. أمّا الطّوائف الأكبر فهي الطوائف المسيحيّة والطائفتان المسلمتان (السّنّية والشّيعية)، والطائفة الدّرزيّة، كما يشكّل الفلسطينيّون حوالى ١٠ في المئة من مجموع السّكان. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأطراف كلّها شاركت في الحرب الأهليّة، فطمست بذلك الخطوط الفاصلة بين الضّحايا والمرتكبين.

مع حلول أوائل السّبعينات، مهّدت النّزاعات السّياسيّة الدّاخلية والاضطرابات في المنطقة، الطريقَ أمام اندلاع الحرب الأهليّة في العام ١٩٧٥.[٢٣] إذ طالب ممثّلو المسلمين بتعديل الإتفاق المبرم سابقًا مع المسيحيّين حول تقاسم السلطة، فادّعوا أنّ الإتفاق لا يعكس الأغلبيّة الديمغرافيّة الجديدة. وقد ساهم التواجد الفلسطينيّ المتناميّ في لبنان، ولاسيما منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، في وضع لبنان في صلب التّوتّر الإقليميّ العربيّ مع إسرائيل.[٢٤] هذا واتخذت المنظّمات السّياسيّة المحليّة والاتّحادات النقابية طابعًا عسكريًّا أكثر، وازدادَ عددُ المتعاطفين مع الفلسطينيّن ومع القضية العربية الكبرى.

وقد ارتفعت حدّة التّوتّر داخل الحكومة اللّبنانيّة حول مسألة التواجد الفلسطيني، بحيث اعتبرَ بعضهم أنّ ذلك يعطي إسرائيل ذريعةً للدخول إلى لبنان. أمّا تنامي منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، من حيث الحجم والتّنظيم العسكريّ، وتوسّع نفوذها على الصعيدين الدّاخليّ والخارجيّ، فأذكيا المخاوف وزاداها. وقد ساهمت المعارك التي دارت بين الميليشيات المسيحيّة ومنظمة التحرير الفلسطينية في إشعال النّزاع الّذي راح ينتشر تدريجيًّا في أنحاء البلاد كلّها وحوّل العاصمة بيروت الى ساحة معركة على خط الجبهة. وتوسّعت رقعة هذه الاشتباكات حتى انخرطت فيها منظّماتٌ سياسيّة محليّة أخرى.

تجلّت النّزاعات الطّائفية بأشكالٍ متنوّعة خلال الفصول المختلفة من الحرب الأهليّة الطّويلة التّي امتدّت نحو ١٥ عامًا. وتوقّفت هذه الدّيناميكيات على الدور الذي أدتّه الجهات المتعددة، بما فيها مختلف الطّوائف اللبنانية الرئيسة، والفلسطينيّين، والتّدخل السّوريّ لفترات طويلة، والتّهديد المستمر من إسرائيل. ومع تفاقم النّزاعات، ارتُكِبت أعمال العنف بين الطوائف المتقاتلة وضمن الطائفة الواحدة على حدّ سواء.

بين العامين ١٩٧٥ و١٩٩٠، نزح ما يقارب ٧٠٠ ألف شخص. ففي كثير من الحالات، أُرغِمَ الناس على الانتقال من مكانٍ إلى آخر لأسباب سياسيّة أو طائفيّة، وذلك في ظلّ تقسيم البلاد تقسيمًا مُمنهجًا إلى مناطقَ طائفيّة على يد الميليشيّات.[٢٥]

---

٢٢ خلف،

Samir Khalaf, "Beirut Reclaimed: Reflections on Urban Design and the Restoration of Civility" (Dar An-Nahar, Beirut, 1993), 84.

٢٣ خالدي،

Walid Khalidi, Conflict and Violence in Lebanon: Confrontation in the Middle East (Center for International Affairs, Harvard University, Cambridge, 1979).

٢٤ إتفاق القاهرة، الموقّع عام ١٩٦٩ الذّي وضع المبادئ الرّاسخة التي قامت عليها شرعيّة الكفاح المسلّح الفلسطينيّ ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ من داخل لبنان.

٢٥ انظر، على سبيل المثال، سيدمان،

Steven Seidman, "The Politics of Cosmopolitan Beirut: From the Stranger to the Other," Theory, Culture & Society, 29:2 (2012), 11:

"إنّ قوّة الطائفيّة محبوكة في كلّ نسيج من أنسجة الحياة الشخصيّة والاجتماعية. وتقوم الطائفة مقام الوطن . فلكلّ من الطّوائف الرّئيسة (الموارنة، والروم الكاثوليك، والأرثوذكس والدروز والسنة والشيعة) منظّماتها السياسيّة الخاصّة بها، وحصّتها من وظائف خدمة مدنيّة، وميليشياتها، وأعلامها، وأساطير نشأتها وحكاياتها عن أبطال وأشرار. تشكّل الطّوائف دويلات افتراضية حيث أنّها توفّر السّلامة والأمن وفرص العمل، وتمنح الإحساسَ الفعليّ بالهوية والانتماء الاجتماعي. وتنظم قوانين الأحوال الشخصية الطائفية الولادة والزواج والطلاق والميراث، هذا وتوفّر الجمعيّات الخيريّة ومنظّمات الخدمة الاجتماعية لكلّ من هذه الطوائف الرعاية الصّحيّة والاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك تتمتّع كلّ طائفة بمدارسها الخاصة ووسائلها الإعلامية على غرار القنوات التّلفزيونيّة والصّحف. فباختصار، توفّر الطّائفة الأمن والتّضامن لمواطنٍ أنهكته الحرب وخلّفت فيه صدمةً نفسية".

وقد ارتكبت الفصائل كلّها المجازرَ بحق بعضها بعضًا، فكانت الضحيّة يومًا والمُرتكب يومًا آخر، ومن بين تلك المجازر، مجرزة الكرنتينا التي اقتُرِفت في العام ١٩٧٦ فطهّرت المنطقة المسيحيّة من الفلسطينيّين والمسلمين والأكراد، ومجزرة الدامور التي ارتُكِبت بحقّ المسيحيين، واستهداف الفلسطينيين في مخيّم تلّ الزّعتر للّاجئين، علمًا أنّ المرتكبين والضّحايا كانوا يقطنون في القرية ذاتها في أغلب الأحيان. هذا وعمّت الأضرار التي طالت الممتلكات، فدُمّرت المنازل الكثيرة وحُرقت ونُهبت، وهُدّمت دور العبادة ودُنّست المقابر.[٢٦]

عكست التّحولات الدّيمغرافيّة الناتجة من القتال مقصد هذا الأخير. ففي حين شكّل المسيحيّون ٥٥ في المئة من سكّان بيروت الغربيّة في العام ١٩٧٥ لم يبقَ منهم إلّا ٥ في المئة فقط مع حلول عام ١٩٨٠. كذلك، انخفض عدد المسلمين المقيمين في بيروت الشرقية من ٤٠ في المئة في العام ١٩٧٥ إلى أقل من ٥ في المئة في العام ١٩٨٠.[٢٧] فترتّب على النزوح الكثيف هذا أن تشرذمت الهويّة اللّبنانيّة، ما أرغمَ السّكان على إعادة تحديد هويّاتهم المكانيّة على أسس طائفيّة.[٢٨]

أمّا المصالحة الداخليّة التي ألّفت بين الخصوم السياسيين المحليين من جهة والتّطوّرات الإيجابيّة التي شهدتها المنطقة من جهة أخرى، فسهّلت وقف النّزاع المسلّح في العام ١٩٩٠ [٢٩]. وفي أواخر العام ١٩٨٩ أبرمَ إتفاق الطّائف الذي أرسى أسس الإصلاح السّياسيّ، وأعلنَ نهاية الحرب الأهليّة اللّبنانيّة، وأنشأ علاقات مميّزة بين لبنان وسوريّا، كما وضعَ إطارًا لانسحاب القوّات السّوريّة نهائيًّا من لبنان.

وقد نشبَ عن تقسيم السّلطة السّياسيّة بين الطّوائف الرّئيسة الثّلاث بحسب الديمغرافيّة السّكّانيّة، مشكلة مستمّرة ألا وهي اختلال التّوازن السّياسيّ.[٣٠] ولمّا كان حجم الطّائفة يحدّد سلطتها السّياسيّة، يفترضُ أيّ تغيير ديمغرافي إعادة تقسيم السلطات السّياسيّة، "واختلال التّوازن الطّائفيّ الحسّاس والهشّ الّذي يحكم النّظام السّياسيّ".[٣١] ويُعدّ بعضهم ذلك السببَ الجوهريّ الذي يكمن وراء غياب أيّ إحصاء رسميّ في لبنان منذ العام ١٩٣٢.

---

٢٦ كنفاني – زهار،

Aïda Kanafani-Zahar, "Displacement, Return and Reconciliation in Mount Lebanon," Accord, 24 (2012): 46.

٢٧ خلف،

Samir Khalaf, "Beirut Reclaimed: Reflections on Urban Design and the Restoration of Civility" (Dar An-Nahar, 1993).

٢٨ في خلف، at، Ibid ٩٣، ١٠٢، and ١٠٧، يناقش المؤلّف العواقب الاجتماعية والنّفسيّة المترتبة على هذه التّحوّلات الإقليميّة. وينطلق من مفهوم فوكو المكاني القائل بأنّ المكان يطوّر منطقًا خاصًّا به، ويُشكّل مصدرَ إلهام السكان، ليُبرهنَ أنّ الحرب أنتجت خريطة أماكن جديدة فرسمت حدودًا طّائفيّة وأدت إلى "العودة إلى الانقسامات". كما يحدّد خلف المخاوف الأساسيّة التي تجمع الشعب اللبنانيّ وتقسّمه في آن، وهي الخوف من المنفى والتهميش والاستيعاب. هذا ويؤكد خلف أن أعمال العنف ليست مألوفة خلال الحرب الأهليّة وحسب بل ضروريّة للبقاء أيضًا. ومن العواقب الناتجة أن تمسي العلاقات الطّائفيّة أو المذهبيّة أجدى الوسائل لتأكيد الذات واثبات الوجود وتحقيق الأمن والحفاظ على الاحتياجات الحيويّة. واستمرّ هذا الوضع بعد نهاية الحرب الرسمية. مراجعة أيضًا بوليني،

Beatrice Pouligny, "The Forgotten Dimensions of Transitional Justice Mechanism: Cultural Meanings and Imperatives for Survivors of Violent Conflicts," Paper presented at the Global Justice, Local Legitimacy International Conference, University of Amsterdam, 2005, 6.

تؤكد ديما دي كليرك، أنّ ذهنيّة الأقليات المُحصارة والأفراد القلقين على مستقبلهم والخائفين من اثر النّزاع مع أخصامهم وأعدائهم، أطالت أمد عسكرة المجتمع اللّبنانيّ، ما يؤدّي في نهاية المطاف الى محو الحدود الفاصلة بين الضّحية والجاني.

Dima de Clerck, "Ex-Military Fighters in Post-War Lebanon," Accord 24 (2012): 24.

٢٩ صليبي،

Kamal Salibi, A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered (University of California Press, Berkeley, 1990), 36.

٣٠ مراجعة، على سبيل المثال، فاعور،

Muhammad A. Faour, "Religion, Demography, and Politics in Lebanon", Middle Eastern Studies, 43:6 (2007), 910

٣١ فاعور،

Muhammad A. Faour, "Religion, Demography, and Politics in Lebanon", Middle Eastern Studies, 43:6 (2007), 910.

صحيحٌ أنّ الدّراسة هذه تُركّز على فترة الحرب الأهليّة بين العامين ١٩٧٥ و١٩٩٠، إلا أنّ أعمال العنف السّياسيّة في لبنان لم تنته مع وقف الحرب رسميًّا. فمنذ العام ١٩٧٥، أصبح "العنف في سبيل البقاء" سائدًا في المجتمع اللبناني، وقد اتخذه بعض المجموعات حجّةً لتبرير هجومه أو دفاعه عن أراضيه في وجه المجموعات الأخرى، علمًا أنّ ما يُسيّر المجموعات هذه هو الخوف من المنفى أو التهميش أو الاستيعاب القسري. وفي ظلّ هذه الصيغة، باتت الروابط الطائفية أو المذهبية وسائل تؤمّن تأكيد الذات، وتضمن الأمن، وتوفّر الحفاظ على الذات ضمن مجتمعٍ لبناني آخذٍ في الانقسام.

في شهر آب/أغسطس من العام ١٩٩١، أقرَّ البرلمان اللّبنانيّ قانون العفو العامّ الذي تجاهل بشكلٍ كبيرٍ حقوق الضحايا وحاجاتهم، وحمى النُخب السّياسيّة من النقاشات العامّة التي كادت تورّطهم في أعمال العنف السّابقة.[٣٢] وتضمّنت المبادرات الرّسميّة اللّاحقة إنشاء وزارة لمعالجة آثار النّزوح المرتبطة بالنّزاع وتشكيل لجنتي تحقيق في حالات الإخفاء القسريّ. ومع ذلك، لم تُثمر هذه المبادرات سوى القليل من النّتائج الملموسة ولم تُعزّز ثقة الناس بالسلطة.

ظلّت البلاد تحت الاحتلال العسكريّ الإسرائيلي الجزئيّ حتى عام ٢٠٠٠ وتحت الاحتلال العسكريّ السوريّ حتّى العام ٢٠٠٥. ومنذ ذلك الحين، سُجلَت إغتيالات مستهدفة وثلاث عمليّات توغّل عسكريّ إسرائيليّ، ومعركة مسلّحة لمدّة ثلاثة أشهر بين الجيش اللّبنانيّ والحركة الإسلاميّة المسلحة فتح الإسلام، وفتراتٌ عنيفة من الاقتتال الداخلي الّذي يُعيد إلى الأذهان صورة أعمال العنف المُرتكبة إبّان الحرب الأهليّة.

والجدير بالذكر أنّ هذه الدّراسة أجريت خلال فترةٍ شهدت تفاقمَ الاضطراب في سوريا وازدياد نزوح المدنيّين إلى لبنان، بالإضافة إلى اعتداءاتٍ عنيفة مرتبطة بتلك الأوضاع في بعض المدن الشّماليّة وضاحية بيروت الجنوبيّة. وعليه، فإنّ النّتائج التّي توّصلت إليها هذه الدّراسة تأثّرت بالاضطراب المُتفاقم في المنطقة الذي تخللته فترات متقطعة من أعمال العنف وانعدام الأمن.

وقد خلص عددٌ من الباحثين إلى أنّ سياسة الإفلات من العقاب التي ترعاه الدولة، قد أذكت دوّامات العنف[٣٣]، وأنّ "الإصلاحات التي شرعت بها سابقًا نخبة لبنان الحاكمة تحت الوصاية السّوريّة بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٥ أدّت، في الواقع، إلى تفاقم التّوتر والمنافسة الطّائفيّين، وإلى اختلال جديد في النّظام السّياسيّ لفترة ما بعد الحرب".[٣٤] وبالتالي، ظهرت حاجة "اللّبنانيين الى إبتكار طرقٍ جديدةٍ للتواصل مع بعضهم بعضًا علّ أشباح الماضي تتلاشى وتُدفن".[٣٥]

٣٢ نشابي، Omar Nashabe, "Lebanon: A Failed Version of Justice," Al-Akhbar, 2012.

٣٣ شويري، Youssef Choueiri, Breaking the Cycle: Civil Wars in Lebanon (Stacey International, London, 2007)

٣٤ كرم، Karam Karam, "The Taif Agreement: New Order, Old Framework," Accord, 24 (2012): 37

٣٥ شويري، Youssef M Choueiri, "Introduction" in Breaking the Cycle: Civil Wars in Lebanon (Stacey International, London, 2007), xvii

٣. المنهجية

تتباين تصوّرات اللبنانيين تجاه الماضي وكذلك مواقفهم إزاءَ مبادرات العدالة الانتقالية، وقد شكّلَ التباين هذا موضوع الافتراضية المركزيّة التي بُنيت عليها هذه الدراسة. أمّا الهدف الأساسيّ الذي ترمي الدراسة إليه فهو تسليط الضّوء على تلك الاختلافات وتوظيفها في إنشاء منصةٍ تحوي معلوماتٍ أكثر وتُغني البحوث في العدالة الانتقالية، والنقاشات، وتطوير السّياسات. وتجدر الإشارة إلى أنّ عملية جمع البيانات اقتصرت على منطقة بيروت الكبرى وحسب، وذلك نظرًا إلى أسبابٍ عمليّة.

أسئلة البحث الأساسيّة هي التالية:

١. ما هي الأنواع المختلفة من التجارب التّي يفكّر فيها حاليًّا سكّان بيروت الكبرى في ما يتعلّق بالحرب في لبنان؟ ما هي العواقب المختلفة المُترتّبة على هذه التّجارب والمنعكسة على المشاركين في الدّراسة؟ (علمًا أنّ التجارب آنفة الذكر قد تشمل تلك المباشرة وغير المباشرة، وأعمال العنف، والآثار الاقتصادية، والهجرة، والتّعليم، والصّحّة، والخوف.) أي وبعبارةٍ أكثر صراحةً، كيف تأثّر الأفراد وجماعاتهم بالنّزاع، أو بالأحرى، بأعمال العنف السياسيّ التي جرت بين العامين ١٩٧٥ و١٩٩٠، وإن اختلفت التسميات؟

٢. ما موقف سكّان بيروت الكبرى تجاه مفاهيم العدالة الانتقالية حول الانتقال والحقيقة والعدالة والمحاسبة وجبر الضرر والإقرار، والذّاكرة، والاعتذار؟ وما هي أوجه الشبه والاختلاف بين تلك المفاهيم؟

أ. ما هي، بحسب الأفراد والجماعات، الحاجات المُلحّة التي لا بد من تلبيتها من أجل وضع حدّ للمعاناة؟ ما هي رؤية الأفراد والجماعات إلى المصالحة والسّلام بشكلٍ عام وما هي نظرتهم إليهما في السّياق اللّبنانيّ الحاليّ بشكلٍ خاص؟

ب. هل يعلم النّاس بمبادرات العدالة الانتقالية الماضية؟ وهل يقيّمون هذه المبادرات؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي أسس التقييم؟

ت. هل أثّرت التّصوّرات الفرديّة والجماعيّة حول العدالة الانتقالية في بيروت الكبرى والتوقّعات بشأنها في الخطابات السّياسيّة الدائرة في ما يتعلّق بفقدان الذاكرة الجماعيّة، ومبدأ "سامح وانسَ" والعدالة الجنائية والحق في معرفة الحقيقة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن توظيف هذه المفاهيم توظيفًا عمليًّا؟

نُظّمت خمس عشرة مجموعة تركيز شملت ١١٣ مشاركًا في ٥ أحياء مختلفة. إذ تألّفت كلّ مجموعة من ٦ إلى ٨ مشاركين (من دون احتساب مديري النقاشات)، واستمرّت حوالى ٩٠ دقيقة، كما أنّها عُقِدَت في الحيّ الذي يقيم فيه حاليًّا المشاركون. تمّ الاستناد إلى عاملين أساسيَين لتحديد سمات المشاركين في كلّ مجموعة، ألا وهما:

١. أبعاد التباينات التي يجب تحليلها،

٢. والتّشابه الدّاخليّ في خصائص معينة على نحوٍ كافٍ يُتيح إجراء نقاشٍ مُنفتح وسلسٍ وصريح.

في كلّ حيّ من الأحياء، طُلِبَ من المطوّعين إيجاد مشاركين عبر استخدام مزيج من الأساليب الثلاثة التالية: استقدام المشاركين من الشارع مباشرةً، أو اختيارهم من لوائحَ تضمّ أسماء السكان وتمتلكها شركة استقدام المُشاركين في المسوحات "ماينرز" (Miners Inc.)، أو استدعاء الأشخاص الذين دلّ عليهم المختار[٣٦] وغيره من الشخصيات المعروفة في الحيّ. إلا أنّ شركة استقدام المُشاركين لم تتمكّن من تنفيذ هذه الاستراتيجية بالكامل، والسبب في ذلك يعود بشكلٍ جزئيّ إلى التحديات الأمنيّة التي تواجهها منطقتان (هما مخيم برج البراجنة ومنطقة الشياح–حارة حريك).

أشرف الباحث نفسه والباحثة نفسها على مجموعات التركيز جميعها. وبغية ضمان حياد مدير النقاش، عرّف كلٌّ من مديري النقاش المهنيَيْن المُشاركين إلى دوره في مستهلّ كلّ جلسةٍ من جلسات مجموعات التركيز. وعند انتهاء كلّ جلسة، حرصت شركة ماينرز على تقديم هدية رمزيّة للمشاركين تعبيرًا عن الامتنان لمشاركتهم.[٣٧]

اعتمدت الدراسةُ منهجيّةً نوعيّة في الإجابة على مجموعة من أسئلة البحث، عوضًا عن محاولة إجراء مسوحاتٍ وفقَ التّمثيل السّكّانيّ. وقد اتُخِذَ هذا القرار على ضوء الاعتبارات الرّئيسة التالية:

١. كان المقصد من مرحلة البحث الأولى تحديدَ القضايا الرّئيسة، والفروقات الدّقيقة، والاختلافات المُتعدّدة، وباقة من الآراء الفرديّة وديناميكيات المجموعة. وليست الغاية أن يُستدلّ على الانقسامات الحادّة بين سكّان لبنان ككلّ أو أن تُطلق الأحكام العامّة في شأنها.

٢. تم الحرص على ألّا يُعدّ الاستبيان المنظّم إعدادًا مُسبقًا بلغةٍ قد يستغربها بعض الناس أو قد تفشل في مُحاكاة عدد من الأفراد أو المجموعات الفرعيّة في لبنان. وكما ذُكِر في بداية البحث، كان من المُقرّر أن يتمّ النظر في كيفية تحدّث النّاس في لبنان عن القضايا المذكورة آنفًا كلٌّ بلغته وتعابيره.

٣. سمحت الدّراسة النّوعيّة بالنظر في التجارب الفرديّة والجماعيّة، والآراء، والدّيناميّكيات على نحوٍ متكامل.

٣٦ يعمل المختار بمثابة وسيط بين الناس المسجلين بحسب قيدهم، في الحيّ، ومؤسسات الدولة القائمة في وسط كل محافظة. يقدم المخاترة خدمات إدارية أساسية، مثل إصدار إفادة سكن، وشهادة ولادة، وتجديد الهوية. وهم يعتمدون على معرفتهم الحيّ والمقيمين فيه لتحديد منهجية عملهم، ويرتبط نجاح المختار في عمله أو فشله بمدى معرفته سكان حيّه. غالبًا ما يملك المخاترة مكتبًا صغيرًا في الحيّ، كما قد يملكون مكتبًا في المكان الذي تهجّر منه الناس الذين يمثلونهم أثناء الحرب.

٣٧ مراجعة الملحق ٢: وصف عمليّة جمع البيانات.

٤. فرضَ النقص في البيانات السّكانيّة الأساسيّة الحاليّة تحدّياتٍ تقنيّة وتشغيليّة وماليّة كبيرة أمام محاولة أخذ عيّنات من السّكّان بطريقةٍ تمثيليّةٍ، سواء على مستوى الوطن ككلّ أو على مستوى المناطق.[٣٨]

أمّا الأهداف الثّلاثة الرّئيسة لجمع البيانات فهي:

١. دراسة الديناميكيات ضمن المجموعات، فما كانت لتسهلَ مراقبتها وتحليلها لو تمّ الاعتماد على تجميع المقابلات الفرديّة؛

٢. تسهيل العملية الأساسيّة التي من شأنها مشاركة التجارب، والمفاهيم، والحاجات بطريقةٍ لا تسمح بها عادةً استبيانات المسح[٣٩] دقيقة التنظيم؛

٣. مقارنة مجموعات التركيز ومُراقبتها، ما يسمح، تاليًا، بمقارنة الأبعاد الأساسيّة في المجتمع اللّبنانيّ ومُراقبتها على حدّ سواء.

٣-١ اختيار كتلة المتغيّرات

اختلفت التجارب الشخصية والتطلّعات الفرديّة حول الحرب بشكلٍ أساسيّ باختلاف الحيّ، والعمر (أجيال ما قبل الحرب وما بعدها)، والتّعرض للحرب، والنّوع الإجتماعي. أمّا حصر الدراسة في خمسة أحياء لا غير فقد تجلّى دقّةً أكبرَ في استقدام المشاركين. إذ عزّز اختيارُ مشاركين من أبناء الحيّ الواحد التحكّمَ في تجانس المجموعة الواحدة، لا سيما أنّ هؤلاء ينتمون إلى الطّائفة نفسها أو الدّين نفسه. هذا وقد ساهمت أحاديّة النوع الاجتماعي أو الفئة العمرية ضمن مجموعات التركيز في اتضاح تفسير النقاشات بشكلٍ أفضل.

---

٣٨ يفتقر لبنان أنظمة تسجيل حيوية وشاملة، وكما سبق ذكره، تم إجراء الإحصاء الأخير في العام ١٩٣٢.

٣٩ مراجعة: كروغر وكاسيه،

Richard A. Krueger and Mary Anne Casey, Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research, 4th ed. (Sage Publications, Thousand Oaks, 2009).

الجدول رقم ١: التركيبة المُتغيّرة لمجموعات التركيز الخمس عشرة

	الحيّ الرّئيسيّ للاستقدام	طائفة الحيّ الأساسيّة	الجنسيّة	النوع الإجتماعي	العمر	التعرّض لاعمال عنف/حرب
١	الشّيّاح/ حارة حريك	شيعة	لبنانيّة	مختلط	شباب (١٨–٢٧)×	مختلط
٢	الشّيّاح/ حارة حريك	شيعة	لبنانيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	مباشر×
٣	الشّيّاح/ حارة حريك	شيعة	لبنانيّة	إناث فقط×	مختلط (١٨–٦٠)	مختلط
٤	الأشرفيّة/ سن الفيل	مسيحيّة	لبنانيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	غير مباشر×
٥	الأشرفيّة/ سن الفيل	مسيحيّة	لبنانيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	مباشر×
٦	الأشرفيّة/ سن الفيل	مسيحيّة	لبنانيّة	إناث فقط×	مختلط (١٨–٦٠)	مختلط
٧	طريق الجديدة/ المزرعة	سنّيّة	لبنانيّة	مختلط	الأكبر سنّاً (٣٥–٦٠)×	مختلط
٨	طريق الجديدة/ المزرعة	سنّيّة	لبنانيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	مباشر×
٩	طريق الجديدة/ المزرعة	سنّيّة	لبنانيّة	إناث فقط×	مختلط (١٨–٦٠)	مختلط
١٠	مخيّم برج البراجنة	سنّيّة	فلسطينيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	غير مباشر×
١١	مخيّم برج البراجنة	سنّيّة	فلسطينيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	مباشر
١٢	مخيّم برج البراجنة	سنّيّة	فلسطينيّة	إناث فقط×	مختلط (١٨–٦٠)	مختلط
١٣	الحمراء/ رأس بيروت	مختلط	لبنانيّة	مختلط	شباب (١٨–٢٧)×	مختلط
١٤	الحمراء/ رأس بيروت	مختلط	لبنانيّة	مختلط	الأكبر سنّاً (٣٥–٦٠)×	مختلط
١٥	الحمراء/ رأس بيروت	مختلط	لبنانيّة	مختلط	مختلط (١٨–٦٠)	غير مباشر×

× تحدّد "المتغيّرات المضبوطة"

الأحياء

اعتُمِدت الجغرافيا كمعيارٍ أساسيّ في تشكيل المجموعة أو "الكتلة". فلكي يحقّ للفردِ أن يُشاركَ في الدراسة، يُشترط عليه أن يكونَ مُقيمًا في أحد الأحياء الخمسة التي تشملها الدراسة، على مدى العامين الماضيين على الأقل (وليس بالضرورة أن يكونَ من سكان هذه الأحياء خلال الحرب الأهلية).[٤٠]

٤٠ تربط علاقة وثيقة بين أحياء الأفراد وأحوالهم الشخصية من جهة، واستمراريّة الهيكليّة السّياسيّة الطّائفيّة في لبنان من جهة أخرى.

الأحياء التّي ضمّتها الدّراسة هي التالية:

١. الشياح / حارة حريك (شيعيّ بشكل أساسي).

٢. الأشرفيّة / سن الفيل (مسيحيّ بشكل أساسي).

٣. طريق الجديدة / المزرعة (سنّي بشكل أساسي).

٤. مخيم برج البراجنة (فلسطينيّ سنّيّ بشكل أساسي).

٥. الحمراء / رأس بيروت (مختلط، فيه الطّوائف الرّئيسة كلّها والأقليّات كافّة).

تُعتبر بيروت الكبرى عاصمةَ لبنان والمنطقة الأكبر ضمن حدوده.[٤١] فهي مدينة ساحليّة صغيرةٌ نسبيًّا إذ تبلغ مساحتها حوالى ٦٠ كيلومترًا مربّعًا. وتضمّ بيروت خمسة أحياء رئيسة مُوزّعة جغرافيًّا على النحو التالي: في شمالها الغربيّ ووسطها الغربي يقع كلّ من حيّ المزرعة، والمصيطبة ورأس بيروت، وفي شمالها الشّرقيّ ووسطها الشّرقي الأشرفية ومنطقة الميناء؛ وفي جنوب غربها الشّيّاح وحارة حريك، وأمّا في جنوب شرقها فسن الفيل.

وقع الخيار على الأحياء الخمسة نظرًا إلى أنّها تضمّ شريحة واسعة من مجتمع بيروت الكبرى، وأنّها تعكس مكوّناته الأساسيّة، ومن بين هذه الأحياء تلك المُتزايد تجانسها من حيث التّكوين الطّائفيّ (على سبيل المثال، الشّياح/ حارة حريك ومخيّم برج البراجنة)، وتلك غير المتجانسة نسبيًّا (على سبيل المثال، الحمراء/ رأس بيروت).[٤٢]

تتشاطر هذه الأحياء، على اختلافها على المستويَين الاقتصادي والاجتماعي، عددًا من القواسم المشتركة. فيقطن في كلّ من الأشرفية، والحمراء، ورأس بيروت، ووسط بيروت، رجال الأعمال، والأساتذة، والتّجّار النّاجحون وغيرهم ممّن ينتمون إلى فئة اجتماعية واقتصاديّة أعلى شأنًا من تلك التي ينتمي إليها سكّان ضواحي بيروت (مثل الشياح، وحارة حريك، والمزرعة، وسن الفيل، وطريق الجديدة).

ويعتبر حيّ الحمراء / رأس بيروت واحدًا من أكبر الأحياء المختلطة طائفيًّا في لبنان. فهو حيّ متميّز من حيث طابعه التّربويّ والحكوميّ، والتّجاريّ، إذ يضمّ وزارات وجامعات (مثل الجامعة الأميركيّة في بيروت، والجامعة اللّبنانيّة الأميركيّة وجامعة هايكازيان)، ومراكز بحوث، ومسارح، ومحلّات تّجاريّة تجذب الأقليّات والأجانب.

فإذا ولد شخص في لبنان من أب لبنانيّ، تسجّل أحواله الشّخصيّة في الحي حيث أُدرج اسم عائلة الأب تاريخيًّا، عوضَ أن يسجّل في محلّة ولادته. تحصر قوانين الانتخابات حق النّاخب بالتّصويت لأعضاء البرلمان والبلديّات في المنطقة التي تُسجّل فيها أحواله الشّخصيّة. وبالتالي يحقّ للنّاخبين التّصويت للمرشحين الذين ينتمون إلى منطقة أصول عائلاتهم. فعلى سبيل المثال، يتمتع المواطنون الذين عاشوا في بيروت في الثلاثين سنة الماضية بالحق بانتخاب مرشحي البرلمان عن منطقة البقاع، نظرًا إلى أنّ أسماء عائلاتهم مسجّلة أصلًا في هذه المنطقة (تبعد محافظة البقاع ٣١ كيلومترًا عن بيروت)، ولا يحق لهم انتخاب أي مرشح عن منطقة بيروت، على الرغم من أنّهم أمضوا فيها حياتهم كلّها، ودفعوا الضّرائب فيها.

٤١ ينقسم لبنان إلى ستّ محافظات هي: مدينة بيروت، الشّمال والجنوب والبقاع والنّبطية وجبل لبنان، وتنقسم كلّ محافظة إلى مناطق بحيث تضمّ كلّ منها عددًا معينًّا من الأحياء. ويتمّ انتخاب عضوّ البلديّة وعدد معين من المخاترة في كلّ حيّ (عادة ١–٣، بحسب حجم الحيّ وعدد سكّانه). ويتمتّع بأهليّة التّصويت من سجّلت أحواله الشّخصيّة في هذا الحيّ، لا من يقيم فيه حاليًّا.

٤٢ شهدت منطقة بيروت الكبرى إعادة توزيع جذرية للسكان بحسب الانتماء الطائفي. خلف وخوري،

Salim Nasr, “New Social Realities and Post-War Lebanon: Issues for Reconstruction,” in S. Khalaf and P. Khoury, editors, Recovering Beirut: Urban Design and Post-War Reconstruction (Brill, Leiden, 1993), 68–69.

وقد تم اختيار أحياء الأشرفيّة/ سن الفيل، والمزرعة/ طريق الجديدة، وحارة حريك/ الشّياح لأنّها تُعدّ أكبر الأحياء في بيروت الكبرى. إذ تتمتّع بكثافة سكّانيّة مرتفعة نسبيًّا، وبحياة تجاريّة نشِطة، كما أنّها تختلف في تكوينها الطّائفيّ، وهو ما يهمّ الدراسة بشكلٍ أساسيّ. تسكن غالبية مسيحيّي بيروت الشرقيّة في الأشرفية وسن الفيل، بينما يقطن السّنة في بعضٍ أحياء بيروت الغربية، لاسيّما في المزرعة، والمصيطبة، وطريق الجديدة، أمّا الشيعة فيرتكزون في ضاحية بيروت الجنوبيّة، ولاسيّما في الشيّاح وحارة حريك.

ويُعتبر مخيّم برج البراجنة في الضّاحية الجنوبيّة أكبر المخيّمات الفلسطينيّة في بيروت، وهو واحد من اثني عشر مخيمًا في لبنان، يعيش فيها عشرات الآلاف من الفلسطينيّين في ظلّ ظّروف صعبة. وقد تمّ اختيار هذا المخيّم لأنه كان ساحةَ نزاع أساسيّ خلال الحرب.

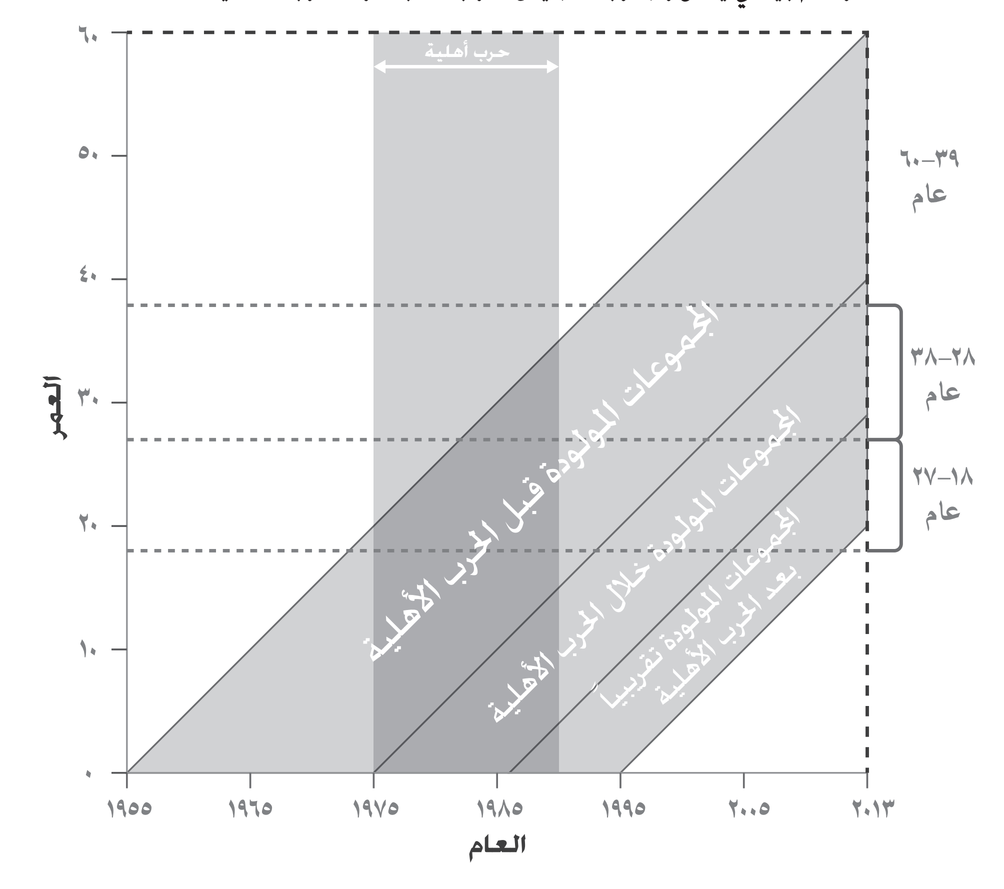
أجيال ما قبل الحرب وما بعدها

أفضت طبيعة أعمال العنف المُمتدّة والمختلفة في لبنان إلى حساسيّةٍ في التجارب بين الأجيال. وقد تمّ تحديد الأجيال على النّحو التّالي:

- الجيل الأصغر سنًّا، الّذي لم يعش فترة الحرب الأهليّة، وتتراوح فئته العمريّة بين ١٨ و٢٧ عامًا؛
- والجيل الأكبر سنًّا، الّذي وُلد قبل فترة الحرب الأهليّة أو أثنائها، وتتراوح فئته العمريّة بين ٢٨ و٦٠ عامًا.



المستند ١: رسم بيانيّ يظهر تجارب الأجيال المرتبطة بفترة الحرب الأهليّة



مستوى التّعرض للحرب

تمّ تحديد مستوى تعرّض المشاركين للحرب على أساس تعرّض الفرد للأعمال المرتبطة بالحرب تعرّضًا مباشرًا أم غير مباشر. أمّا المشاركون الذّين صُنّفوا على أنّهم تعرّضوا مباشرةً للحرب، فهم ممّن تعرّضوا شخصيًّا للعنف أو ممّن قُتلَ أحد أفراد أسرهم القريبة (أي الزّوج، والأولاد، والأشقّاء، والآباء، والأجداد، والأعمام وأبناؤهم، والعمات وأبناؤهنّ، والأخوال وأبناؤهم والخالات وأبناؤهنّ) أو تعرّضوا لأعمال عنف خطيرة (مثل الاخفاء القسريّ أو تدمير المنازل، أو التعرّض لنار قناصة) نتيجة الحرب.

إلا أنّ هذا التصنيف لم يتضّمن النّزوح المرتبط بالنّزاع. وعليه، صُنّف المُشاركون الذين نزحوا (و/أو أسرهم)، ولم يتعرّضوا مباشرةً لأعمال العنف الجسديّ على أنّهم تعرّضوا لأعمال العنف على نحوٍ غير مباشر. وقد افتُرِضَ أنّ التجاربَ تختلف بين من تعرّض لأعمال العنف على نحوٍ مباشر ومن تعرّض لها على نحوٍ غير مباشر، وأنّ الآراء والتوقعات حول التّعامل مع الماضي تتأثّر بمستوى التّعرّض لأعمال العنف هذه.

النّوع الإجتماعي

تشكّل الأهميّة التي تُولَى لعلاقات القرابة الموسّعة والطّبيعة الأبوية التي تُميّز الحياة الاجتماعية في لبنان عاملَين أساسيَين يؤثّران في دور النّوع الاجتماعي في تجارب الحرب ونهج التّعامل مع الماضي. وبناء عليه، افتُرِضَ أنّ تعبير المرأة عن نفسها في جلسة مختلطة قد يختلف عنه في جلسة نسائيّة[٤٣]؛ لذا، اقتصرت بعض مجموعات التركيز على الإناث وحسب.

٣-٢ نقاشات مجموعات التركيز

نظرًا إلى ضيق الوقت ومحدوديّة الموارد، لم تُعقد سوى بعض أنواع مجموعات التركيز المُختارة. وقد اعتُمِدت آلية التّوزيع العشوائيّ لاختيار ثلاث مجموعات تركيز في كلّ حي. فقدّم هذا المخطط هيكلية مجدية لجمع البيانات وسمح كذلك بإجراء تحليل منهجيّ مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الأبعاد الأساسية.

وتُعدّد سمات مجموعات التركيز الخمس عشرة بالكامل في المستند رقم ٢ أدناه. أمّا الملحق الأول فيحتوي دليل نقاش مجموعة التركيز فيما يقدّم الملحق الثّاني وصفًا مُفصّلًا أكثر حول كيفيّة جمع البيانات.

الجدول ٢: وصف توزيع مجموعات التركيز الخمس عشرة العشوائي

	الشياح / حارة حريك	الأشرفية / سن الفيل	طريق الجديدة / المزرعة	مخيم برج البراجنة	الحمراء / راس بيروت	الاجمالي
الجيل: الأكبر سنّاً		X	X	X	X	٤
الجيل: شباب	X				X	٢
العنف: مباشر	X	X	X	X	X	٥
نساء فقط	X	X	X	X		٤

---

٤٣ يحذّر الأدب النظريّ المتعلق بمجموعات التركيز من جمع ناس من قدرات ديناميكيّة متفاوتة في المجموعة الواحدة.
ستيوارت وآخرون،
Stewart et al., Focus Groups: Theory and Practice, 2nd ed. (Sage Publications, Thousand Oaks, 2007), 27–28.

٣-٣ محدودية البيانات وتصميم الدّراسة

لا تدعي الدّراسة هذه الشموليّةَ في تصميمها وفي البيانات الناتجة منها، وذلك نظرًا إلى الأسباب التالية:

١. ركّزت الدّراسة حصريًّا على خمسة أحياء من بيروت الكبرى، فأغفلت بذلك تجارب اللّبنانيّين المقيمين خارجها، أو في مناطق الانتشار اللّبنانيّ حول العالم. وعليه، فإنّ النّتائج لا تُعبّر بالضّرورة عن مجمل الشعب اللبناني.

٢. بسبب ضيق الوقت ومحدوديّة الموارد، لم يتمّ التطرّق إلى التّبديلات والتوليفات كافة التي تجمع بين مختلف المتغيّرات الأوليّة منها والثّانويّة في كلّ حيّ.

٣. لم تتّخذ الدّراسة خطوات واضحة لتشمل الأقليات المقيمة في الحيّ، علمًا أنّ الأقليّات الدّينيّة أو المذهبيّة شاركت في مجموعات تركيز الأحياء المختلطة (على غرار تلك التي انعقدت في الحمراء/رأس بيروت). إذ تعذّرَ الوصولُ، بشكلٍ خاص، إلى أحياء درزيّة.

٤. لم يتمّ تنفيذ آليات استقدام المُشاركين واختيارهم بطريقة منهجيّة وموحّدة في الأحياء كلّها.

٥. شكّل عامل اللغة واحدًا من أبرز التحديات التي اعترضت العمل على أدوات منهجية الدراسة. فقد أُجريت الدّراسة باللّغة العربيّة، غير أنّ تحليل البيانات اعتمد على النّصوص المترجمة إلى اللّغة الإنكليزيّة. فعلى سبيل المثال، كان من الصعب ترجمة مصطلح "Community" إذ إنّ ترجمته بمصطلح "جماعة" لم تلقَ صدّى بين المُشاركين اللبنانيين. لذلك، اعتُمِد مصطلح "محيط" بمعناه اللّبنانيّ المُتعارف عليه وهو "عددٌ من السّكان في مكان جغرافيّ صغيرٍ مُحدّد أو في حيّ ما".

٦. فرضت ترجمة مصطلحات العدالة الانتقالية تحديات كبيرة نظرًا إلى استهجان هذه المصطلحات في اللّغة العربيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح "العدالة الانتقالية" لم يُتداول إلّا في مجموعات التركيز بغية وصف الجهة التي ترعى هذه الدّراسة، أي "المركز الدّولي للعدالة الانتقالية".

٤. كيف يتكلم النّاس عن الحرب

إنّ واحدًا من الأهداف الأوليّة المُبتغاة من نقاشات مجموعات التركيز هو التعرّف إلى الطريقة التي يتشاركُها أفرادٌ منتمون إلى جماعةٍ واحدة في تذكّرهم أعمال العنف الناجمة عن الحرب في لبنان وفي حواراتهم حولها على حدّ سواء. وفي هذا الإطار، طُرحت أسئلة عامّة عن تجارب النّاس مع أعمال العنف المُرتبطة بالحرب وعن رؤاهم حولها بغية رصد المواضع المُختلفة التي دخلَ منها المشاركون في النقاش الدائر من جهة واستخراج التباينات الرّئيسة التي تحكمُ حديثهم عن الماضي من جهة أخرى. هذا وقارنت الدّراسة بين مجموعات التّركيز المُنعقدة في الأحياء الخمسة من حيث اختلاف حديث الأجيال عن الماضي؛ وكيفية تأثير تجارب الحرب في طبيعة محادثاتٍ مماثلة، ومدى انعكاس تصوّرات الجماعات الحاليّة تجاه الحاضر على كثافة المشاركة في النقاشات حول الماضي.

٤-١ الحرب لم تنتهِ بعد

لعلّ أوّل قاسم مُشترك بين مجموعات التركيز يُمكن مُلاحظته هو الشّعور السائد بأنّ "الحرب لم تنتهِ بعد"، ويُستقى مثالٌ على ذلك من الحوار الّذي دار بين شابَيْن من منطقة الشّيّاح/حارة حريك:

- محمد: أنا بحس إنو الحرب بعد ما خلصت. يلي حضر الحرب الأولانية بيعرف إنو هلأ الجو متل هيداك الوقت. هلأ كأن بال٧٤-٧٥؛ نفس الجو، نفس التوتير، نفس الصراع إذا بدك بالكلام، بس نفس الشي، سيارة مفخخة هون، كل شوي بمنطقة بتعلق، العالم ممترسة، كلها عم تتسلح.
- زين: التاريخ عم بيعيد حالو.

كُثرٌ أيّدَوا هذه الملاحظة، فاعتبروا أنّ الحرب لم تنته فعلًا ولكنّها دخلت في مرحلة جديدة من النّزاع. وأوضح سامر قائلاً "بعدها نفس الشي بس بلا سلاح".[٤٤] فيما شدّد المشاركون من الحمراء والأشرفية، بشكلٍ خاص، على أنّ أعمال العنف المرتبطة بالحرب تحوّلت من أعمال العنف الجسديّ إلى أعمال عنفٍ بنيويّة متجذّرة في مؤسّسات الدّولة وفي النّسيج الاجتماعي. وفي مجموعة التركيز المؤلّفة من شباب الشياح، أوضحت منال قائلة: "قبل كانوا عم يشتغلو على فكرة بس مذهبية، بس هلأ عم يعملو حرب بطريقة غير مباشرة، حرب اقتصادية، حرب نفسية، حتى بالنسبة للشباب عم يحقنوا فيهن".

وأردفَ مشارك آخر من مجموعة التركيز التي تضمّ شبابًا من الشّيّاح قائلاً: "ما حدا بأمّن لحدا. أنا ما بأمّن لحدا". وقد ربط النّاس مصدر هذه التّوترات مباشرةً باستمرار "الحرب التي لم تنتهِ بعد". هذا واعتبرَ المشاركون الأصغر سنًّا أنّ تقارير وسائل الإعلام حول أعمال العنف الحاليّة تحمل

---

٤٤ مجموعة التركيز رقم ١، انظر الجدول رقم١.

الأكبر سنًّا على الحديث عن الماضي. أمّا فرح، وهي شابّة من سكّان منطقة الحمراء، فشرحت ما يلي: "بس يصير شي، متل هلأ، بس يصير إنفجار – منتذكر بسنة كذا صار إنفجار– بسنة كذا صار كذا – بترجع الذاكرة لحالها".

إذًا، تجلّت المُلاحظة الأكثر إثارةً للدهشة في الإجماع الذي هيمنَ على نقاشات مجموعات التركيز المتعلقة بأعمال العنف والحرب الماضية؛ إجماعٌ مفاده أنّ الحرب لا تزال مستمرة. ومن شأن ما تقدّم ذكره أن يفرض تحديّات أمام واضعي السياسات والعاملين في العدالة الانتقالية، ذلك أنّ الانطباع العام باستمراريّة الحرب يشيعُ اعتقادًا بأنّ الحديث عن مرحلة انتقالية للتخلّص من أعمال العنف السيّاسيّ هو حديث سابق لأوانه.

٤–٢ الاختلافات بين الأجيال

كما أنفَ ذكره سابقًا، قُسّمت مجموعاتُ التركيز إلى جيليْن اثنين؛ أمّا الأوّل فيضمّ أولئك الذين عايشوا الحرب وأمّا الثاني فشمل أولئك الذين وُلدوا قرابة نهاية الحرب أو بعدها. وقد اختلفت الطريقة التي يتحدث فيها أبناء كلّ جيل عن الحرب.

أفصحَ الأشخاص الذين عايشوا الحرب في شبابهم بأنّ الحرب لا تزال تُطاردهم، إذ يوقظ دوي أعمال العنف الحاليّة وصورها في أنفسهم ذكريات الماضي المرتبطة بمعاناة الحرب وعنفها. وعليه، تخللت نقاشاتُ أبناء هذا الجيل حول الماضي رواياتٍ عن "التأقلم" وسيطرة مشاعر الخوف والقلق عليهم حتّى اليوم. وتجسّدت الملاحظة هذه جليًّا في نقاشات مجموعات التركيز المؤلّفة من سكان الحمراء الذين تأثروا بشكلٍ مباشر بأعمال عنف الحرب اللّبنانيّة:

- منال: منضلنا عايشين بخوف.
- ميشال: عشنا خلال الحرب كلّها.
- رانيا: ما في – يلي بيضهر ممكن ما يرجع. هيدي كانت الفكرة بعقول الأهل. إذا بتضهر يمكن ترجع يمكن ما ترجع. حتى لو كانت الإشيا هادية ورايقة، ما بتعريف ايمتى بتولع. يعني ممكن يكونو ماشيين بطريق ما بيعرفو أخره شو هو، أخره بيكون في مشكل، بيتطور وبيروح كل يلي حوليه. فكان دايماً الواحد مربط، عنده رعب، ابنه يرجع أو ما يرجع، أو البي يرجع أو ما يرجع، أو ينخطف. كان دايماً في قلق، ما في إستقرار.
- نادر: في اشيا بتستفز الإحساس البشري، مثلاً معقول يصير اشيا [فيها] خوف كبير–حدا يعملك شي ببيك أو بامك قدامك، هيدا الشي الإنسان ما بيحب أبداً يواجهه، عرفت؟ بتكون إنت رجال مع عائلته وولاده–بنزلوك من السيارة، ببهدلوك–بغض النظر إذا هيدا الشي صار أو ما صار، بس مجرد الفكرة، بتضلها معك للأبد.

ناقش بعض المشاركين الأكبر سنًّا الانقسامات عبر الأجيال التي أوجدتها الحرب، ورأوا أنّ الأجيال الشّابّة التّي لا تذكر الحرب تعتبر الأجيال الأكبر سنًّا مفرطة في الوقاية أو كثيرة القلق. وعلّقت ليلى، وهي امرأة مسنّة تعيش في طريق الجديدة، قائلة: " قد ما بخاف على ولادي، وبدير بالي عليهم–خربوا!".

٤–٣ الحرب بشهادة الشّباب

تحدّث المشاركون الّذين ولدوا خلال فترة الحرب الأهليّة عن سنوات نشأتهم التّي خيّم عليها الارتباك وعدم الاستقرار وانعدام الأمن. فأوضحت رباب، وهي شابّة تعيش في الشّيّاح: "بتحس إن بدل

ما كنت بطفولتك تقعد تلعب مثلاً، كنت تلعب بالملجأ–تنطر مثلا يصير هيك هدنه لتقعد تلعب شوي، بتلاقي أهلك عم يركضوا فيك من ميله لا ميله، إنو إنت ما عشت طفولتك، ما لعبت، ما عشت متل هالولاد يلي لازم يلعبوا. ما في ثبات". وقد شرح المشاركون أنّ الشعورَ بالخوف والارتباك الذي ينتابهم يُعزى إلى طفولتهم التّي حكمتها أعمال العنف، وأمّا الشعور بعدم الاستقرار فناجمٌ عن الاضطرابات المستمرّة خلال فترات النّزوح؛ وأمّا الشعور بانعدام الأمن فناتجٌ عن تزايد الوفيات بين الأقارب والجيران أو تعرّضهم للإصابات.

وأشارت نهلة، وهي من سكّان الشياح الذين شاركوا في مجموعة التركيز آنفة الذكر: "هي فكرة الحرب وإنت بعدك صغير–شو يعني حرب؟ ما كنا نعرف–كنا نعرف إنو اهلنا حطونا بالسيارة، طلعونا عالضيعة، مش عم نستوعب. لبعدين للواحد صار شوي يكبر، صار يفهم شو يعني حرب".

أمّا المُشاركون الّذين ولدوا خلال الحرب، فأشاروا إلى أنّ وعيهَم أعمال العنف المرتبطة بالحرب زادَ وارتفعَ مع تقدّمهم في العمر. لذا، ينتابهم قلقٌ من أن تهيمن أعمال العنف والخوف على سنوات تنشئة أطفالهم. وأوضحت غرايس، وهي امرأة من حيّ الأشرفيّة/ سن الفيل وُلدت خلال فترة الحرب الأهليّة، قائلة:

- ليك لمّا تكون صغير، بتعاني من العنف، بس ما بتفهمه. روح عمطرح معين بدماغك، بالاوعي، بتصير تحلم أحلام، هول كل الولاد بيحلموهن، حلم مثلا إنت ماشي وحدا هجم عليك ويصيرو اجريك تقال، يصير ما فيك تركض كتير – هول الأحلام إجمالاً يحلموهن–لما صرنا نحكيهن عكبر، طلعوا كل الولاد بيحلمو نفس الاحلام. فكل ما تكبر وتوعى، بيصير يبين الخوف يلي عانيته – بيوعى الخوف. يعني هلق صرت حس حالي كتير بخاف. يعني بخاف ولادي يعانوا يلي أنا عانيته. وبعد أفظع من هيك، صرت خاف إنو يعانو!

ذكرَ معظم المشاركون ممّن ولدوا بعد العام ١٩٩٠ أنّهم ورثوا ذكرياتهم عن الحرب من آبائهم، أولًا، ومن سائر أفراد أسرهم والجيران ثانيًا. وسلّطت هذه القصص المُتناقلة عبر الأجيال، الضوءَ على مشاعرَ مهيمنة تُحاكي الدّمار، والنّدم، والضياع. أمّا الدّمار فيعني تدمير الممتلكات والحيوات والفرص غير المُنتهزة أيضًا. وأمّا الضياع فيتجلّى في النظر إلى الحرب على أنّها بلا معنى، فهي لا تُثمر أي فائدة ينتفع بها الشّعبُ اللّبنانيّ العاديّ إن على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسيّ.

وأوضح المشاركون أنّ ذكرياتهم المتعلّقة بالحرب نسجها لهم آباؤهم الذين يسعون إلى غرس فكرة القول الشّعبي "تنذكر وما تنعاد" وإلى حثّ الجيل الصاعد على نبذ أعمال العنف. ومع ذلك، أفصحَ بعض المشاركين الذّين ولدوا بعد العام ١٩٩٠ عن قلّة معرفتهم بأعمال العنف الناجمة عن الحرب اللّبنانيّة لأنّ أسرهم تتفادى التطرّق إلى تلك الفترة.

٤-٤ تباين مستويات انخراط الأجيال في مجموعات التركيز

لُوحظَ تفاوتٌ في مستويات انخراط المُشاركين في النقاشات الدائرة ضمن مجموعات التركيز التي ضمّت شبابًا ولدوا بعد الحرب. ففي حين ناقش المشاركون، لأي جيلٍ انتموا، ماضي لبنان المتضرّر من الحرب، مال المشاركون الأصغر سنًّا إلى إفساح المجال أمام الأكبر سنًّا لإدارة النقاش. أمّا حديث الأصغر سنًا عن التّجارب المتعلّقة بالحرب، فتناولَ الماضي من منظار أفراد أسرهم أو الجيران المُحيطين بهم. وأمّا الشباب ممّن ولدوا بعد العام ١٩٩٠ فمالوا إلى الاعتماد على القصص التّي وصلت إليهم (نتيجةَ تناقل التاريخ شفويًّا أبًّا عن جدّ) وعلى قصص الحرب المتداولة في الثّقافة الشّعبيّة. ولا يُستغرب ذلك في ظلّ غياب توثيق فترة الحرب الأهليّة في كتب التّاريخ المدرسيّة من

جهة، وردع الشّباب عن الانخراط في نقاشات حول هذا الموضوع في المدراس من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال:

- في مدرستين ثانويّتين في وسط بيروت واللّويزة، لا تُعلم لوحات الإعلانات الطّلّاب بالأحداث القادمة فقط بل تحذّرهم من التّكلّم بالسّياسة على أرض المدرسة. وبالتالي يتم استبعاد المواضيع المثيرة للجدل مثل السّياسة المحليّة، والتّنوّع الدّينيّ والحرب الأهليّة من مناهج التّدريس ونقاشات الصّفّ[٤٥].

وتفرض هذه المسألة بدورها، تحديًّا أمام العاملين في العدالة الانتقالية الذين يسعون إلى الدّخول في حوارات شاملة عن الماضي بين مختلف الأجيال.

٤-٥ التّعرّض للعنف واختلاف نقطة التركيز في المحادثة وديناميكياتها

اختلفت طبيعة نقاشات مجموعة التركيز حول تجارب الناس مع أعمال العنف الماضية بحسب تعرّض المشاركين مباشرة أم غير مباشرة للحرب. فمن تعرّض مباشرةً للنّزاع بيّنَ بوضوح العواقب المتأتية عن أعمال العنف المباشر. ثمّ ركّزَ المشاركون الّذين أُخفيَ أحد أفراد عائلاتهم قسرًا على عدم وضع حدّ نهائيّ لهذه المسألة (عن طريق معرفة الحقيقة والحصول على إقرار رّسميّ) واعتبروا ذلك عاقبة الحرب الأكثر عبئًا على حياتهم اليوميّة. أمّا المشاركون الذين تعرّض أحد أقربائهم لإصابةٍ أو للقتل أو الذين تشرّدوا من منازلهم، فقد تمحورت نقاشاتهم حول تأثير تلك الخسائر البالغ في حياتهم. وأمّا مجموعات التركيز التي ضمّت ضّحايا مباشرين، فقد تطرقت النقاشات فيها إلى التّحديّات التي لا يزالون يواجهونها.

في المقابل، فإنّ نقاشات مجموعات التركيز التّي ضمّت مشاركين تعرّضوا بشكلٍ غير مباشرٍ لأعمال العنف المرتبطة بالحرب، دارت حول رواياتٍ عامّة مفادها "عانينا جميعًا بسبب الحرب." وقد مال المشاركون إلى تسليط الضوء على الفرص التي أضاعوها وأفراد عائلاتهم بسبب الحرب، بما في ذلك الحرمان من التّعليم والعمل وعدم انتهاز الفرص الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، قالت إحسان، وهي امرأة من الجيل الأكبر سنًا تسكن في الأشرفيّة/ سن الفيل:

- ليك أنا أثرت [الحرب] علي صراحة – مثلاً – عندي ولاد– بدل ما قول خليها تروح تتعلم بالجامعة وتتوظف وكذا – بقول أنا بدي وديها عالغربية؟ كانت الجامعات قليلة بكل المناطق[الشرقية]، خصوصاً الجامعات الرسمية يعني. كيف بدي ودي بنتي من هون لهونيك وما بعرف كيف بدا توصل؟ فاضطريت ما خليهن زيادة يكملوا علمهن– [...] عطلانة هم حدا يدأرهى، حدا يخطفها أو يعتدي عليها...

لم تُخفِ مجموعات التركيز رأيها بضرورة أن تحظى تجارب المشاركين ممّن عايشوا الحرب وتأثّروا بها مباشرةً بإقرارٍ خاص. ومالت نقاشات مجموعة التركيز التّي لا تضمّ ضحايا مباشرين، إلى التركيز على التجارب التي عاشها السّكان أثناء الحرب، على غرار التّهجير والتّمييز الطّائفيّ في التّعليم والعمل، والخدمات العامّة. وتشير هذه الدّيناميكيّة إلى وجوب أن تتمحور مقاربات العدالة الانتقالية حول الضّحيّة، وأن تركّز على المبادرات التي تُعنى بتجارب الضّحايا الذّين انتُهكت حقوقهم الإنسانيّة المنصوص عليها دوليًّا. كما تشدّد الديناميكيّة هذه على ضرورة أن تتطرّق مقاربات العدالة إلى أشكال أعمال العنف المنهجية وأن تأخذها بعين الاعتبار، ومنها التّمييّز المؤسّساتيّ على الأسس الطّائفيّة.

---

٤٥ لاركين،
Craig Larkin, "Beyond the War? The Lebanese Postmemory Experience," International Journal of Middle East Studies 42:4 (2010), 620.

٥. مواجهة الماضي مقابل التأقلم مع الحاضر

ألقت الدّراسة الضوء على نظرة أفرادٍ من المجتمع اللبناني إلى المحسوبيّة القائمة على أسسٍ طائفيّة، فهم يعتبرونها سببَ أعمال العنف المرتبطة بالحرب ونتيجتَها، وحاجزًا يحول دون تجاوز أعمال العنف الطّائفيّ في لبنان. كذلك، كشفت النقاشات أنّ تفاقم أعمال العنف المرتبطة بالحرب هدمَ الثقة العامة، وأعاقَ التّفاعل المدنيّ بين الطّوائف وفرضَ تحديّات إضافيّة أمام التّعامل مع الماضي.

في عدد من مجموعات التركيز، تحدث المشاركون عن توتّر مستمرّ بين مواجهة إرث أعمال العنف الماضية والتّأقلم مع الواقع الحاليّ. وفي أكثر من مرّة، تردّد المشاركون في الانخراط في النقاشات حول التّعامل مع أعمال العنف الماضية، حتّى أنّهم أعربوا عن يأسهم من جدوى أي عمل مُماثلٍ وواقعيّته، وذلك نظرًا إلى الظّروف الرّاهنة في لبنان. أمّا محمود، وهو فلسطيني من الجيل الأكبر سنًّا يُقيم في مُخيّم برج البراجنة، فقد استجابَ للدعوة إلى التّفكير مليًّا حول المُقاربات التي من شأنها معالجة أعمال العنف الماضية، فعلّق قائلًا: " شو عالج وما عالج؟ ما هن [الحكومة] بيكرهونا." ويوحي هذا الشّعور بغياب بيئةٍ آمنة ومناسبة لإجراء نقاشات مدنيّة تتخطّى الحدودَ الطائفيّة.

في المُقابل رأى سعد أنّ النقاشَ هذا لم يُغلق أبدًا إلّا أنّ المشكلة تكمن في إطاره:

- هيدا نقاش مفتوح ومش محسوم. هيدا النقاش بتسمعو كل يوم، من ٥ سنين لليوم هو ذاته. أنا برأيي مش هون السؤال. إذا كان السؤال عن كيف الحرب الأهلية بتخلص، لازم نبلش نشعر إنو كلنا متضررين كمواطنين من الوضع القائم. كلنا آخر شي عم نلاقي قدامنا هيدا البلد عم ينهار، بالإقتصاد، وبالسياحة، وبالأمن، وبالتربية، وبكل المعايير[٤٦].

يُبرز هذا النوع من التصريحات الحاجةَ إلى اعتماد مُقاربةٍ عمليّة في العدالة الانتقالية تصب اهتمامها على إنهاء الحرب أكثر منه على الأُطر المُحورة حول الضحية التي لا تُركّز إلّا على الماضي. إضافةً إلى ذلك، وردًّا على السؤال التالي: "ماذا تعني عدالة ما بعد الحرب بالنسبة إليكم؟" رأى بعض المشاركين أن لا مكانَ لهذا السؤال في الواقع اللبناني الحالي. ففي هذا المحور من النقاش التي جرى ضمن مجموعة تركيز مؤلّفة من مشاركين من الجيل الأكبر سنًّا في طريق الجديدة، دارَ الحديث التالي:

- نوال: إنصاف؟ وين في إنصاف؟ [ضحك الجميع]
- أمل: وين الإنصاف؟ وين قاعد؟
- فاتن: ما في إنصاف بلبنان. [أومأ الحاضرين جميعهم برؤوسهم موافقين على ما قيل]

---

٤٦ مجموعة التركيزة رقم ١٤، انظر الجدول رقم ١.

يؤكد هذا الكلام ظاهرةً تتصف بأنّها "إزالة قدرة اللبنانيين على التّفكير بسؤال "ماذا لو"".[٤٧] وتعكس هذه المشاعر حاجةً المجتمعات المتنوّعة في بيروت الكبرى إلى مبادراتٍ تتعامل مع الماضي وتقرّ بحقائق الحاضر، وهي حاجةٌ لم تُلبَّ بعد.

٥-١ عواقب أعمال العنف عبر الأجيال

خلال مجموعات التركيز، عبّر المشاركون جميعهم عن شعورٍ يُخيّم على حياتهم الحالية وهو الشعور بالتهديد الدائم والخوف من العنف المستمر. وعلى الرّغم من ذلك، اختلفت مواضع الدّخول في مناقشة هذه المشاعر باختلاف الأجيال.

فتحدّث المشاركون الأكبر سنًّا عن حياتهم التي حكمتها دومًا أعمال العنف وما تبعها من تهديد. فعلى سبيل المثال، قالت رولا، وهي امرأة من الأشرفيّة/سن الفيل: "نحنا وولاد، ما لعبنا. نحن وعرسان، ما قدرنا نمبسط، نكزدر، نضهر. دغري صار في ولاد صغار صرتي تخافي عليهن بدل ما تخافي عحالك، وإنت بعد لازم تخافي عحالك لأنك صغيرة أصلاً". لاحظ المشاركون من هذا الجيل أنّ نقاط بداية مداخلتهم حول التّعامل مع الماضي تأثّرت بمزيج من تجارب عاشوها في زمن الحرب وأرخت بظلالها على سنوات مراهقتهم، وشبابهم وكهولتهم.

أمّا المشاركون من الجيل المُتوسط سنًّا الذين أمضوا طفولتهم ومراهقتهم في الحرب، فرأوا أنّ البيئة التي لطالما اعتبروها مسلّحة وعنيفة تتخذ اليوم أشكالَ الحرب المؤسساتيّة. وهم يعتبرون أنّ القادة الحاليّين والزّعماء في السّلطة يؤججون التّوترات بين الطّوائف من خلال التّلاعب في التّعليم والنّظم الاقتصادية، وسوق العمل. وقد عبّر المشاركون عن آرائهم هذه في مجموعات التركيز التي ضمّت مشاركين من سنّ معينّة أو من أعمار مختلفة على حدّ سواء. هذا وانتقدت منال، وهي إمرأة من حيّ الشّيّاح/حارة حريك، الوضع القائم قائلة: "حتى بالنسبة للشباب يلي عم يحقنو فيهن. أنا مثلاً من فترة كنت بمنطقة مش منطقتي، وصرت خاف أساساً عبّر عن رأيي- خلص صار في تشبص عند الشباب- إنو هادي الطائفة هني يلي بدن يتحكمو بالبلد، وبدن يلغونا، وكذا".

ويرافق هذا التّوتر نوع من الخوف الذي عُبّرَ عنه على النحو التالي: "كلو عم يجرب يعمل إكتفاء أو أمن ذاتي ليحمي حالو- كلو عم يتسلح، كلو عم يجهز حالو- كلو عندو مخاوف من أي ردة فعل".[٤٨] هذا وشدّد الجيل الذي نشأ خلال الحرب، على أنّ عسكرة المجتمع اللبناني بشكلٍ متزايد قد أذكت مشاعر الخوف ووصدت المساحات حيث كان هؤلاء الشباب يشعرون بالرّاحة في التّعبير عن أنفسهم بحريّة مطلقة.

في المقابل، أوضح المشاركون من الجيل الأصغر سنًّا أي الذين ولدوا في مراحل الحرب الأخيرة أو بعدها، أنّهم ورثوا شعورًا عامًا بالخوف وعدم الثّقة. أمّا جويل، وهي مُشاركة من الأشرفية/سن الفيل تأثّرت بشكل مباشر بأعمال العنف، فتحدّثت عن تجربتها إذ إنّها وُلِدت في بيئةٍ مزقتها الحرب لكنّها لا تعي فترة الحرب الأهليّة، فقالت: "إنت عن جد عم توعى عشي ما لازم كنت توعاله. شي هني قطعوا فيه، لازم نأكس عليه، بس ما عم نقدر. عم نرجع نفس القصة نحنا كل فترة وفترة". وقد امتزجَ إحباط جيل ما بعد الحرب هذا في بعض الأحيان بشعورٍ من الاستياء من المسؤولين عن أعمال العنف، ما ولّد لدى بعضهم كراهية الأجانب. وفي هذا الإطار، كشف نادر وهو أحد المُقيمين في الحمراء والمشاركين في مجموعة التركيز المؤلّفة من الضحايا المباشرين ما يلي:

---

٤٧ مقابلة مع عالم الاجتماع اللّبنانيّ ملحم شاوول، أجريت في بيروت في ١٩ آب/أغسطس ٢٠١٣.

٤٨ مجموعة التركيز رقم ٣، انظر الجدول رقم ١.

- أنا عندي نقمة من الناس يلي وصلونا لهون. يمكن ما بعرفهن شخصياً، بس مرات بحلم فيهن– بحلم إنو عم بعمل فيهن اشيا... انتقامية. [الحرب وصلتنا] لهيدي الحالة الإجتماعية: كيف نطعاتى مع الغريب. مثلا هيدا غريب– كيف حسله؟ هل بستقبله برحابة صدر؟ أو هل بخاف منه؟ هل ممكن يكون عدوي؟ كيف معقول ينظرلي؟

هذا وأوضح بعض المشاركين الأصغر سنًّا أنّ شعور الخوف يُسيطر على تفاعلاتهم الاجتماعية مع غيرهم من اللّبنانيّين، فجاءَ ذلك على لسان شابّة من الأشرفيّة إذ قالت: "...ما بتعرف يلي حدك هو شو ناوي. في خوف[٤٩]". إذًا، شرحَ هؤلاء المشاركين الشّباب أنّ ولادتهم في مجتمع مزّقته الحرب كان من شأنها أن كبّلت قدرتهم على التّعبير عن أنفسهم بحرية في جلساتٍ مُختلطةَ الطّوائف وردعتهم عن تبادل آرائهم حول التّعامل مع الماضي.

٥-٢ جغرافية الخوف

تحت وطأة النزوح الكثيف الذي عرفته فترة النّزاع، لقيَ اللبنانيون أنفسهم مرغمين على إعادة تعريف هوياتهم الإقليمية على أسس طائفيّة[٥٠]. وفي هذا الصدد، أشارت لارا خلال مجموعة التركيز المؤلّفة من المشاركين الشباب[٥١] والمُنعقدة في طريق الجديدة:

- إذا بدك كمنطقة إيه عندهن– نحكيها شوي كطائفية حزبية– عندهن هاي النعرة بعدها تبعيت الحرب. بيستنفرو عاي شي بصير. بدهن ينتقموا من الماضي– وبنفس الوقت ما بدهن يصير نفس الشي أو إنو يصير في تفرقة. بس جوانياً بتلاقيهن بعدهن متأثرين. ع أي شي بفوعو. نفس السيكل بترجع– ما هي هيك بتبليش.

وقد شرحَ مشاركون من مختلف الأحياء أنّ الوضعَ هذا تفاقم حتّى فرضَ نفسه كجغرافية جديدة من الخوف بمعنى أنّ الخوف من العنف المرتبط بالحرب يُهيمن على تحركات المشاركين اليوميّة ويحكمها. وأوضحَ أحد المشاركين ذلك، قائلاً: "من بعد ما صار الفرز الدموغرافي من بعد الحرب، إتكنتنت كل طائفة بمناطق معينة. بتصير تحس إنو لما تنزل ع هايدي المنطقة، لا شعورياً– في عدم راحة"[٥٢]. فهذا النزوح الهائل، المقرون بتحويل المساحات العامّة إلى مساحات خلاف، أجبر النّاس على الانسحاب من هذه المساحة العامّة إلى ما سميّ بالمساحات ـ"الانغلاقية" والمساحات "الحصرية"[٥٣].

وقد تسبّب هذا العداء الذي طال أمدّه بأعراض خوف اجتماعية ونفسيّة من جملتها الشّعور باليأس وفقدان الأمل. وهذا ما توقف عنده ربيع، وهو شاب من الأشرفية تعرّضت أسرته لأعمال العنف الشديد، إذ قال: "في اشيا بترجعنا عالحرب. أنا كشخص عايش بالشرقية– إنو إنزل عمناطق متل الضاحية... كتير... ما بعمل حساب إنو في أمن."

إذًا تحوّلت التجارب المتعلّقة بالحرب إلى جغرافية جديدة من الخوف تُخيّم على حياة المُشاركين اليوميّة، ومن بينهم المُشاركون المُقيمون في أحياءٍ مُختلطة الطوائف. ويُبيّن حديثٌ دارَ بين

٤٩ مجموعة التركيز رقم ٦، انظر الجدول رقم ١.

٥٠ خلف، Samir Khalaf, Civil and Uncivil Violence in Lebanon (Columbia University Press, New York, 2002), 27

٥١ مجموعة التركيز رقم ٨، انظر الجدول رقم ١.

٥٢ مجموعة التركيز رقم ٢، انظر الجدول رقم ١.

٥٣ خلف، Samir Khalaf, "Beirut Reclaimed: Reflections on Urban Design and the Restoration of Civility" (Dar An-Nahar, Beirut, 1993), 19.

أهالي منطقة الشّيّاح/ حارة حريك أنّ إرث أعمال العنف الماضية يتجسّد في الخوف على السّلامة الشّخصيّة:

- بلال: بدك إنت تضهر مثلا من منطقة لمنطقة، أو رايح ع وظيفتك – يعني بتعد مليون شغلة– بدك تروح ع وظيفتك، تخلص شغلك، وترجع ع بيتك دغري. هيدي نفس الحالة [بيعيشها] كل إنسان، من جميع الطوائف.
- أحمد: كلو مش مرتاح لبعضه، بتحسّ العالم مش متطايقين. هيدا الحرب عملتها.
- نهلة: يعني ما بتحس بالأمان إلا بمنطقتك.[٥٤]

وأوضحَ المشاركون أنّ خطوط السّيطرة والقصف، وأعمال العنف واضحة المعالم قد قلبَت جغرافية الوطن أثناء الحرب. إذ أسفر إرث الخوف وعدم الثّقة وإعادة هيكلة المجتمع اللّبنانيّ عن انقسام الشّعب على أسس طائفيّة فكان ذلك بمثابة آليّة مواجهة دفاعيّة. وفسّرت نهلة ما تقدّم قائلة:

- إذا أنا بنتي اجها حداً من طائفة تانية، صار بدي عد للمليون. بالقبل ما كان هيدي الظاهرة. كنا قلنا وإذا سني، شو المشكلة؟ أوائل الحرب ما كانت هيك. هلأ مجبور تخاف. بتقول إذا صار شي، بدك تعلقي إنت وزوجك، إنت وبيت عمك، بكرة ولادك بروحو بالمغليطة. هو هيك المجتمع. إنت ما بدك تكون هيك، بس هني عم يفرضوا عليك تكون هيك. أنا شخصياً ما بحب كون هيك، لأنو بالنهاية هيدا إنسان، بدي احترموا لأنو إنسان. بس في مجتمع عم يفرض علي اشيا، بدي عد للمليون مش للعشرة.[٥٥]

نخر الخوف الجديد المحدّد جغرافيًّا هذا الثقةَ بين الطّوائف وأذكى شعور المرء بالضّعف عند خروج هذا الأخير من حيّه. فنظرًا إلى زيادة التّقسيم على أسس طائفيّة، انتابَ معظم المشاركين احساسٌ بأنّ حاجزين يحولان دون مناقشة إرث أعمال العنف في لبنان بين الجهات المُنقسمة، أمّا الأوّل فواقعيّ وأمّا الثاني فوهمي.

٥-٣ اعتبار المحسوبيّة سبب النّزاع ونتيجته

إنّ أعمال العنف المتعلّقة بحروب لبنان من جهة وديمومة انعدام الأمن والخوف في أوساط الجماعات من جهة أخرى سهّلتَا نشوءَ نظام المحسوبيّة القائم على أسس طّائفيّة[٥٦]، إذ يقدّم موظّفو القطاع العامّ والخاصّ الولاء لرجال السّياسة عِوضًا عن تقديمه للدّولة والمواطنية أوّلًا وآخرًا. بحيث يفرض الولاء هذا أن ينتسبَ المواطنون إلى نظامٍ من الرّعاية يعتمد على المعارف السّياسيّة كي ينالوا الخدمات العامّة الأساسيّة. وفي عددٍ من نقاشاتٍ مجموعات التركيز، أوضح المشاركون أنّ المحسوبيّة هذه تشكل عائقًا رئيسًا يحول دون معالجة إرث أعمال العنف الماضية. فقدّمَ سعد، وهو رجل في منتصف العمر يقيمُ في منطقة الحمراء، شرحًا لذلك قائلاً:

- حاسس حالك غريب. الوطن منو صفات وطن– منا دولة مدنية– يعني أنا بتمناها. مافي مؤسسات، مافي قضاء، يعني لمين بتلجأ؟ اليوم يلي بالطائفة إذا عندو مشكلة، بيروح بيتشكى عند زعيم الطائفة. أنا ما عندي دولة.

أمّا ليال، فأشارت في نقاش ضمن مجموعة تركيزٍ مؤلّفة من نساء مقيمات في منطقة الأشرفيّة إلى ما يلي: "أنا بعتقد إنو نحنا بلبنان عايشين على الإكراميات. يعني حيلة فريق بروح، لبنان بينهار."

---

٥٤ مجموعة االتركيز رقم ٢، انظر الجدول رقم ١.

٥٥ المرجع عينه.

٥٦ خلف، Samir Khalaf, Civil and Uncivil Violence in Lebanon (Columbia University Press, New York, 2002), 130

إلى ذلك، اعتبر الكثير من المشاركين المحسوبيّةَ عاملًا مُتجذّرًا في المجتمع بحيث تصعُب مواجهته على المستوى الفرديّ. فقد رأى علاء، وهو من أبناء منطقة طريق الجديدة، أنّ المحسوبيّةَ مشكلةٌ تكمنُ في الرأس وتمتدّ إلى القاعدة: "المشكله من فوق، مش من تحت عند الشعب."[٥٧] في المُقابل، أجمعَ معظم المشاركين على أنّ كلًّا من النّخب السّياسية في الرأس والشّعب في القاعدة مسؤولٌ عن استفحال المحسوبيّة. أمّا إحسان، وهي مُشاركة في مجموعة تركيز الأشرفية/ سن الفيل، فأعربت عن تطلعها إلى مجتمعٍ يقوم على الاستحقاق لا المحسوبية قائلةً:

- الدين لازم ينشال من السياسه وما يضل في هيدا المركز لا فلان وهيدا لفلان. المفروض يكون الرجل المناسب بالمكان المناسب. مثلاً، ليش بضل إبن ابنو لأمين الجميل ويمكن في واحد غير وفقير بس أفهم منن بكتير ووطني أكتر. مش عم بحكي عن أمين الجميل بشكل خاص، يعني أيا رجل سياسه. بعدن الكبار هني ذاتن. خلو شباب جديده ومتعلمه تطلع.[٥٨]

على الرّغم من طبيعة نظام المحسوبيّة المُعقّدة وتجذّره العميق في النسيج الاجتماعي اللّبنانيّ، اتفق المشاركون على أنّ النظامَ هذا يُعدّ واحدةً من نتائج الحرب وأعمال العنف التي ما زالت تبثُّ الخوف والعنف في المجتمع. هذا وسادَ إجماع عامّ على أنّ التّعامل الهادف مع إرث أعمال العنف الماضية يتطلّب أوّلًا وآخرًا معالجة الظّلم الكامن في نظام المحسوبيّة:

- سعد: ننتقل من الإنتماء للطائفة إلى الإنتماء للوطن. نكون بدايةً لبنانيين وانتماؤنا الأساسي لبلدنا.

- محمد: بدنا إنتقال لدوله مدنيه. وبعدين بتوصل لإلغاء الطائفيه السياسيه. ما فيك تلغي الطائفيه السياسيه والبلد مكون من الطائفيه. فكرة الزواج المدني مثلاً، مش في كتير ناس ضدا! أنا بأيدها لئنها بداية. الدين لله والوطن للجميع. ديانتك ببيتك، وبجامعك، وبكنيستك، ما بتجيبيا لا على شغلك ولا بتحاسبني فيا. معتقداتك لإلك إنت. مش بتطلع بمجلس النواب مثلاً بتفأعني خطبه للإمام وعلي نص ساعة، وأنا مسيحي قاعد بوجك. يلي انت مآمن في، أنا ما مآمن في. حكيني بالمدنيات وبقانون. اقنعني. ما فيك تفوتني بشغلات بالدين بتشد عصب جماعتك. هيدا غلط.[٥٩]

لخّصت نادية، وهي إمرأةٌ من الجيل الأكبر سنًّا تُقيم في مخيم برج البراجنة، انعدامَ الثّقة وواقع الحياة اليوميّة الذي يُمعن النّظام الحاليّ في زيادته قسوةً على النحو التّالي:

- الإنصاف عندي إنو نحس حالنا عايشين كبني آدمين. نحن مش عايشين بصراحة. يعني إذا عنا ولد بدو يخلص جامعه، وين بيشتغل؟ ما في شغل. بكون عندو شهادات عليا بس بياخدو يلي عندو واسطة أو يلي منن. الإنصاف لما نكون عايشين بشغلنا، ببيوتنا وبوظائفنا. بدنا نعيش ونطلع رزقنا و نحس بأمان.

تُعبّر مشاعر ناديا عن جوّ عامّ خيّم على مجموعات التركيز كافة ويُبيّن أنّ طبيعة المحسوبيّة الطّائفيّة المتجذّرة في المجتمع تُقوّي نظامًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا يُذكي التّوتّرات الطّائفيّة.

خلال نقاشات مجموعات التركيز الخمس عشرة، ظهرَ إجماعٌ عامٌ على أنّ تقسيم مناطق بيروت الكبرى تقسيمًا طائفيًّا ونظام المحسوبيّة يفرضان تحدّيات هيكليّة رئيسة، لعلّ أبرزها كيفيّة الانتقال

٥٧ مجموعة التركيز رقم ٨، انظر الجدول رقم ١.
٥٨ مجموعة التركيز رقم ١٤، انظر الجدول رقم ١.
٥٩ المرجع عينه.

من جوّ الخوف وانعدام الثّقة إلى جوٍّ يُخوّل اللّبنانيين التّحاور مع بعضهم بعضًا حول كيفيّة معالجة الماضي، مُتجاوزين بذلك الحدود بين الطوائف والأجيال والتقسيمات الجغرافيّة.

٥،٤ النّزوح والتّشتت

عانَ المشاركون المُقيمون في أحياء بيروت الخمسة التهجيرَ وما خلّفه من نتائج وآثار. وتجدر الإشارة إلى أنّ التهجير الذي تسجّله غالبية النزاعات الأخيرة ضخمٌ جدًّا وأنّه غالبًا ما يطال أكبرَ عددٍ من الضحايا، مُقارنةً بما عداه من أنواع الانتهاكات[٦٠]. ويُعدّ التهجير جزءًا محوريًا من منطق النزاع في لبنان وهو بحدّ ذاته انتهاكٌ مباشر لحقوق الشعب اللبناني الإنسانيّة.
تطرّق الكثير من المشاركين إلى التشتّت وعدم الاستقرار وانعدام الأمن والنّزوح المرتبط بالنّزاع واعتبروا ذلك أقصى تجربة حرب مرّوا بها على الإطلاق. وفي هذا الصدد، يقول محمد، وهو رجل في منتصف العمر من الشّيّاح/ حارة حريك تعرّضت عائلته لمآسي الحرب مباشرةً:

- أنا عندي التهجير كان أصعب شي. بيتنا دغري على خط التماس على طريق صيدا القديمه. تركنا أكثر من ١٥ سنة. إنو بيتك ما قادر ترجعلو! رحنا قعدنا بالضيعة، ورجعنا على بيت اختي. التهجير شغله كبيره. إنو غير الأمن والإقتصاد، كان في تراكمات الأمراض النفسيه يلي أدت للحرب وإنتهاءها بهيدي الطريقة.[٦١]

سلَط المشاركون الضّوء على التّشتت القصير الأمد الذي ترتّب على النّزوح المتعلّق بالحرب وخلّف وراءه عدم الاستقرار الدائم والمستمرّ. وأشارَ المشاركون، خاصةً، إلى الصعوبات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي ألقى النّزوح بوزرها عليهم وعلى عائلاتهم. أما في ما يتعلّق بجغرافيّة الخوف، فقد لمّحَ المشاركون أنّ النزوح أعاد تنظيم توزّع الشّعب اللّبناني المكانيّ فأوجدَ "مساحات آمنة" ومساحات "لا يشعر المرء فيها بالأمان".

ونظراً إلى تأثيرات النّزوح الجسيمة على الصعيد الفردي، والأسري والجماعي، وَصفَ بعض المشاركين الأصغر سنًّا هذه التّجارب بأنّها غير مقبولة. فخلال مجموعة تركيز ضمّت نساءً من منطقة الحمراء أوضحت باتي قائلةً:

- تهجروا من مناطق لمناطق تانيه. ساعة بالشرقيه، ورجعوا صاروا هون. أثرت على الكل مش بس على أهلي. في كتير عالم هيك.

ولمّا كان النزوح أمرًا غاية في الأهميّة، قد تُسفر آليّات العدالة الانتقاليّة التي تتجاهل تأثيرات النّزوح، عن إيجادِ تاريخ مُزيّف يغضُّ الطرف عن مكونات رئيسة نتجت منها أعمال العنف الماضية.

---

٦٠ سيلفا وآخرون،
Romesh Silva et al., "Challenges and Opportunities of Incorporating Demographic Analyses of Displacement into Transitional Justice Processes," Paper presented at International Population Conference, Busan, South Korea, 2012, http://iussp.org/sites/ default/files/event_call_for_papers/silva-et-al-Working-Paper-2012.pdf.

٦١ مجموعة التركيز رقم ٣، انظر الجدول رقم١.

٦. التّطلع نحو المستقبل

خصّص الجزء الأول من كلّ جلسة من جلسات مجموعات التركيز للحديث عن تجارب الحرب وذكرياتها، أمّا الجزء الثاني منها ففتحَ الباب أمام الإجابة عن أسئلةٍ حول كيفيّة التّعامل مع إرث أعمال العنف الماضية. وقد استُهلّ الجزء الثّاني بمناقشةٍ تمحورت حول مُقاربات العدالة الانتقاليّة الجوهريّة بما يخصّ الحقيقة والذّاكرة، المحاسبة الجنائيّة، وجبر الضرر والإصلاح المؤسّساتيّ. بعد ذلك، طُلب من المشاركين تحديد أيّ القولَيْن يُعبّر عن فكرتهم تعبيرًا أفضل:

١. لا جدوى من إعادة إحياء هذه الذّكريات الأليمة كلّها، فالشعب يحاول نسيانها. لذلك فلننسَ ونسامح والوقت كفيلٌ بإصلاح الماضي.

٢. ينبغي التّحرك ومعالجة هذا الموضوع. فلا يُمكن مواصلة الحياة وكأن شيئاً لم يكن. علينا مواجهة ماضينا مهما كلّف الأمر.

لم يظهر أيّ نمط واضح وثابت في المواقف التّي اتّخذها المشاركون حول التّعامل مع الماضي، على اختلاف الحيّ، أو الطّائفة، أو الجيل أو تركيب مجموعات التركيز من حيث النّوع الإجتماعيّ. إلّا أنّ نقاشات مجموعات التركيز المُؤلّفة حصرًا من مشاركين تعرّضوا مباشرةً لأعمال العنف المتعلّقة بالحرب، أيّدت بأغلبيّةٍ ساحقةٍ خيار "مواجهة الماضي" فيما شكّكت في جدوى الخيار البديل أي "التسامح والنّسيان". وقد طفا هذا الخيار في عددٍ من النقاشات، منها على سبيل المثال تلك التي دارت بين السّكان المسيحيّين في منطقة سن الفيل الذين تعرّضوا مباشرةً لأعمال العنف الشديد أثناء الحرب:

- يولا: مشان ولادنا. لأنو هني بكرا بدن يكفو عنا. لازم نواجه الماضي كرمالن.
- ادمون: لازم تدرسن لولادك. التاريخ لازم ينكتب.
- نادية: إذا نسينا بصير في تباعد.[٦٢]

يتضح إذًا أنّ الضّحايا الّذين تعرّضوا مباشرةً لأعمال العنف يشدّدون على أهميّة مواجهة الماضي بغية وضع حدّ للآلام والمعاناة من جهة وتوحيد المجتمع اللّبنانيّ عبر التوصّل إلى فهمِ الماضي فهمًا موحّدًا من جهة أخرى.

يظهر المستند رقم ٢ تباين مواقف المشاركين خلال نقاشات مجموعات التركيز الخمس عشرة.

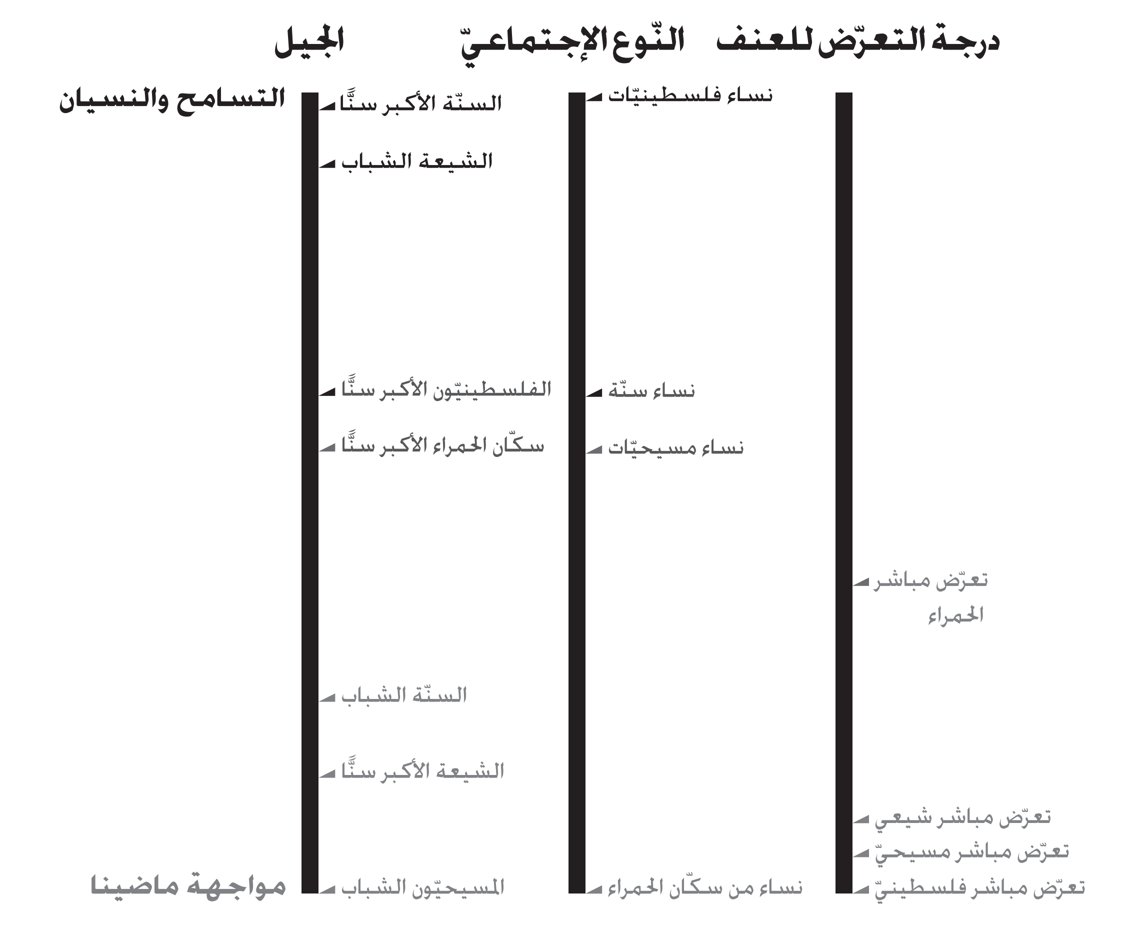
وتجدر الإشارة إلى أنّ تباينًا كبيرًا في مواقف المشاركين ظهرَ في نقاشات مجموعات تركيز التي ضمّت أشخاصًا تعرّضوا لأعمال العنف على نحوٍ مباشرٍ وغير مباشر.

٦٢ مجموعة التركيز رقم ١٥، انظر الجدول رقم١.

انخرطَ معظم المشاركين الأصغر سنًّا في نقاشات حيويّة حول الدّافع وراء مواجهة الماضي، مع أنّ عددًا ضئيلًا منهم شكّك في جدوى إعادة إحياء الماضي. وفي خضمّ هذه النقاشات، ظهر انقسام في الآراء حول الدّافع الأساسيّ وراء هذه الجهود؛ ففي حين نظرَ إليه بعضهم على أنّه وضعُ جدولِ أعمالٍ خاص بالمحاسبة والمساءلة اعتبره بعضهم الآخر دعوةً إلى عدم تكرار أعمال العنف الماضيةِ. هذا وقد لمّح بعض المشاركين إلى اعتقادهم بأنّ التّوضيح التّاريخي المُجدي يفترضُ التطرّق إلى المساءلة والمحاسبة. في المقابل، عبَّر مشاركون آخرون عن خوفهم من أن يؤدي الإفراط في التّركيز على الماضي إلى تجدّد أعمال العنف لا إلى وقفها. وقد تمثّل هذا التّوتّر في مناقشة خاصّة دارت بين شابين من الطّائفة السّنية من أبناء منطقة طريق الجديدة:

- أحمد: بدو يحاسبن كلن.
- علاء: لأ، بدنا نستعيد الذاكرة لنتعلم من أغلاطنا. ما فينا ننسى كل شي صار.
- أحمد: ما هني تلات رباعن صارو ميتين. ما المفروض نتذكر. لازم نكبا هيك ذكرى ورى ضهرنا. لأنو كل ما بدا تنذكر هيدي السيره العالم بدا ترجع تكره بعضا.

مستند رقم ٢: مشاعر تمَ التعبير عنها حول موضوع "التسامح والنسيان" مقابل "مواجهة ماضينا" وفق العمر والنوع الإجتماعي ومستوى التعرّض للعنف



خيّم هذا التوتّر بين مواجهة الماضي والتهديد بتجديد أعمال العنف على نقاشاتٍ جرت في مجموعات تركيز ضمّت مشاركين أكبر سنًّا، على الرغم من أنّ المسألة هذه تعود إلى تاريخٍ بعيدٍ زمنه. وقد ظهرَ هذا التوتّر جليًا في حديثٍ دار بين امرأتين سنيّتين من منطقة طريق الجديدة، فتناقشتا حول إمكانيّة "نسيان الماضي" فعليًّا وتوقفتا عند احتمال أن تُلقي المُحاولات هذه إرث أعمال العنف الماضية على كاهل الأجيال المستقبلية:

- دلال: بدك تسامح وتنسى وتطنش.
- ليلى: إذا بدك ترجع تنكش بالماضي بدك تعمل مشاكل.
- عبير: بس بعدو الماضي مستمر معنا. ما بينمحى.
- ليلى: بفكرنا محينا.
- عبير: بعدو موجود على الأرض وبولادنا.

يصف هذا الإطار تحديدًا الأثر التّراكميّ المحتمل المتأتي عن سعي الأجيال المتعاقبة إلى "نسيان الماضي". ويُعبّرُ عن هذا الخطر الكاتب اللبناني إلياس خوري فيقول:

- إكتشفتُ أنّ هذا المجتمع قد محا تاريخه كمن لازمته خلال طريقه ممحاةٌ لم تترك لتاريخه أثراً. بالتّالي لا نملك أي نصٍّ مكتوبٍ حول الحرب عام ١٨٦٠ ولا كلمةٍ عن ثورة عام ١٩٢٠ ولا حتّى حرفٍ عن ثورة عام ١٩٥٨. ما دبّ فيّ الرعب هو حقيقة أنّني أعيش حرباً (عام ١٩٧٥) قد تكون نهايتها مماثلة لتلك الحروب التي سبقتها، لذلك كان لا بدّ لي أن أكتب عنها.[٦٣]

أيّد ضحايا أعمال العنف المباشرة مواجهة إرث الماضي من خلال التّوضيح التّاريخيّ. في المُقابل، أبدت مجموعات التركيز الأخرى مزيجًا من المشاعر التي تراوحت بين تأييد مواجهة الماضي تأييدًا شديدًا وبين الخوف الواضح من هذه المساعي. أما التّوتّر الحقيقيّ فنشبَ بين من يخشون استمرار دوّامات أعمال العنف النّاتجة من الفشل في مواجهة أسباب أعمال العنف الماضية وعواقبها وبين من يخافون أن تؤدي مواجهة الماضي إلى زعزعة العلاقات السّياسيّة والاجتماعيّة الهشّة فتؤول إلى تجدّد أعمال العنف. ويُبيّن هذا التّوتر التّحدي الّذي يواجهه واضعو السياسات والعاملون في العدالة الانتقاليّة من أجل ضمان الإقرار بأخطاء الماضي على نحوٍ يفي الأشخاص الأكثر تضرّرًا حقّهم، وتعزيز العلاقات والمؤسّسات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة.

٦-١ الحاجة إلى الإقرار بأخطاء الماضي

على الرّغم من التّباين الملحوظ في تأييد إحدى المُقاربتين، إمّا "مواجهة الماضي" وإمّا "التسامح والنسيان"، ردّ غالبية المُشاركين إيجابًا على السؤال المُحكم التالي "أتعتبر أن شكلاً من أشكال الاعتراف ضروري؟". وقد طُرِح هذا السؤال بُعيدَ تحدّث المشاركين عن تجاربهم المُتعلّقة بالحرب وقُبيلَ مناقشتهم ردود الفعل على الحرب بعدَ انتهائها. وأجمعَ المشاركون على أنّ أيّ نوع من الاعتراف يقتضي تخطي الانقسام الطّائفيّ. وفي هذا الإطار، قال ادمون، وهو رجل في منتصف العمر من سكانِ منطقة سن الفيل: "لازم، بس من الصعب يصير في معالجه. لأنو الناس اليوم محكومه طائفياً، لهل سبب إذا الشعب ما توحد ما بيطلع شي منو."

---

٦٣ الخوري، الياس، مملكة الغرباء، دار الأداب، بيروت، ١٩٩٣

Elias Khoury, translated by Paula Haydar, The Kingdom of Strangers (University of Arkansas Board of Trustees), 1996.

أمّا مجموعات التركيز الثّلاث المنعقدة في منطقة طريق الجديدة، فقد أجمعت على استحالة التوصّل عمليًّا إلى الاقرار بالأخطاء الماضية، وإن كانت الحاجة إلى ذلك مُلحّة. وبدا هذا التّشاؤم واضحًا في مناقشةٍ بين شابين سنّيين من منطقة طريق الجديدة:

- أحمد: طبعاً، بس ما منعرف كيف طريقة العلاج.
- محمود: ما في طريقة للعلاج.
- أحمد: حتى الوقت ما بعالجها. لو مع الوقت كانت بدا تزبط كانت زبطت من زمان. خلصت الحرب من زمان كانت زبطت بس ما بتزبط.
- محمود: لو بدا تنحل كانت نحلت.

في مجموعات التركيز التي أقيمت في مناطق وأحياء أخرى، تركّزت النقاشات على الجهة التي تُلقى على عاتقها مسؤوليّة الإقرار بأخطاء الماضي أهي الدّولة أم الجماعات المحليّة. وأشارت رانيا، وهي سيدة في منتصف العمر من منطقة الحمراء تعرّضت عائلتها مباشرةً لأعمال العنف، إلى أنّ الإقرار يجب أن يكون على صعيد "المحيط" غير أنّ العلاقات تصعّب تحقيقه: "أنا برأيي إنو ما تتعالج، لأنو ما في مجال تتعالج. بدك ترجع تنكش الماضي. يمكن بلد في أقل طوائف كان ممكن تتعالج." على عكس رانيا، تعتبر نادية، وهي من أبناء منطقة الأشرفيّة، أنّ الإقرار بأخطاء الماضي يقع على عاتق الدولة وحدها، إذ قالت: "هيدي مسؤولية الدوله. لازم تصير دوله مدنيه، أحوال شخصيه وزواج مدني."

إذًا، لم تتمحور نقطة التباين الرّئيسة في نقاشات مجموعات التركيز، باستثناء مجموعة تركيز طريق الجديدة، حول وجوب الإقرار أو عدمه، بقدر تمحورها حول الجهة التي يجدر بها الإقدام على ذلك. فبحسب المشاركين الأصغر سنًّا، يتحمّل كلٌّ من الشّعب والدّولة هذه المسؤولية، وقد بان ذلك في الحديث الذي دار بين شابٍ وشابّة من منطقة الشّياح/ حارة حريك:

- محمد: ما بقى في عند اللبناني إيمان وقناعه بالدوله، دوله بتحمني أو بتعوض علي.
- سناء: ما بقى عنّا ثقة أبداً بالدوله.
- محمد: الجزء الأول من السبب هو أنو الدوله هي مجموعة النصابين والقتله وأمراء الحرب. والجزء الثاني إنو نحن مجموعة الناس اللبنانيين مدمرين نفسياً ومحبطين وما عنا ثقة بحالنا، وما عم نعمل شي. ونحن كمان مسؤولين. هني الزعامة بس نحن يلي وصلناهن وما عم نعرف نشيلن. ما بدنا نشيلن.

سادَ إجماعٌ بين الأحياء، والمناطق، والطّوائف، والأجيال والمُتعرّضين لأعمال العنف بمستويات مُختلفة على أنّ الإقرار بهذه الأعمال ضرورةٌ لا غنى عنها. وقد أوضحت النتيجة الأولية هذه أنّ تأطير المسائل أمرٌ في منتهى الأهميّة.

ومن هنا، تستلزم هذه النتائج المتفاوتة المزيدَ من التحقيق المُناط بالباحثين وبالعاملين في مجال العدالة الانتقاليّة. فبالنّسبة إلى الباحثين، تُبيّن النّتائج التفاوت في مستوى تأييد فكرة الإقرار بأخطاء الماضي. وأمّا بالنسبة إلى العاملين في مجال العدالة الانتقاليّة، فتبرز الحاجة إلى بذل مزيدٍ من الجهود بغية التوصّل إلى فهم مدى تأثير تأطير مبادرات العدالة الانتقاليّة في مواقف الأفراد والجماعات. وعليه، يشير تحليل نقاشات مجموعات التركيز هذه إلى احتمال القيام بمقايضات عند الانخراط في نقاش واسع النّطاق حول المقاربات المختلفة للتّعامل مع الماضي.

٦-٢ الحقيقة والذاكرة: الاختلافات في الشكل والهدف المتصوريْن

لطالما أكّد الباحثون والعاملون في مجال العدالة الانتقاليّة على أهميّة التوعية الواسعة النطاق حول انتهاكات حقوق الإنسان المُرتكبة وعلى ضرورة انتزاع إقرارٍ من الحكومات، والمرتكبين والمواطنين بعدم شرعيّة هذه الانتهاكات. فسعت هذه الدّراسة إلى فهمٍ نظرة مختلف شرائح المجتمع اللّبنانيّ إلى التّوضيح التّاريخيّ والذّاكرة وحديثها عنهما بشكلٍ أفضل. فكما سبق أن ورد آنفًا، استُنتِجت ملاحظاتٌ حول التّوتر الكامن بين "الحاجة إلى التّناسي" و"الحاجة إلى التّذكر". إضافة إلى ذلك، ظهر تباين بين الأجيال حول الدّوافع المختلفة الكامنة خلفَ إطلاق المُبادرات التي من شأنها السّعي وراء الحقيقة والذّاكرة، كما بان اختلاف بين المجموعات التي تضمّ أشخاصًا تعرّضوا إلى أعمال العنف بمستوياتٍ متعدّدة في ما خصَ أنواع مبادرات الذّاكرة التي ينبغي اعتمادها. فلا بدّ من التنبّه إلى هذه الاختلافات نظرًا إلى أنّ "عمل الذّاكرة لا يتمّ ما لم تؤخذ بعين الإعتبار الرّوايات كلّها وتُقارن إحداها بالأخرى".[٦٤]

أعرب المشاركون ممّن ولدوا بعد الحرب الأهليّة عن حاجتهم إلى التّذكر من أجل فهم جغرافيّة الخوف التّي نشؤوا فيها. فقد أوضحوا أنّ جيلهم لا يفهم حروب لبنان مع أنّه عاش واقع ما بعد الحرب. واعتبرَ المشاركون الأصغر سنًّا هؤلاء التّوضيح التّاريخيّ أساسًا يسمحُ بتجاوز الحسابات الحزبيّة التّاريخيّة. وفي هذا الإطار، شدّدت راشيل، وهي شابةٌ من منطقة الأشرفية، على أهميّة التّاريخ القائم على الأدلّة الموثّقة لا ذاك المبنيّ على الدّعاية السّياسيّة:

- فينا نعمل توعيه. يكون عنا إثباتات ونشوف شو صار. هلأ أن بدي اقنعك، بخبرك وبخبرك، بس إنت شو يلي بأكدلك شو صار.

عبّر المشاركون الأصغر سنًّا عن رغبتهم في الحصول على سجلّ تاريخ لا ريب فيه، فيعتمدون عليه ليفهموا بشكلٍ أفضل أعمال العنف المتعلقة بالحرب السابقة وعواقبها وطبيعتها على حدّ سواء. ويتناقض ذلك تناقضًا تامًّا وطريقة تلقي طلاّب المدارس اللّبنانيّة المعلومات حول الحرب التّي غالبًا ما تكون متضاربة ومُنحازة:

- يختلف محتوى كتب الدّراسات الإجتماعيّة وفق إنتماء إدارة المدرسة الدّينيّ، وبالتّالي تطغى المعلومات المتحيّزة والتّلقين على النّصوص. على سبيل المثال، تشير الكتب المعتمدة في المدارس الإسلاميّة إلى العرب "كإخواننا" وتشدّد على دور الأبطال المسلمين في التّاريخ. وفي المقابل، تُبرز المدارس المسيحيّة أصل لبنان الفينيقي وتعظّم الشّخصيات الفينيقيّة التّاريخيّة كهنيبعل. بالإضافة إلى ذلك، يختلف الوقت المخصّص لكلّ موضوع من مواضيع الدّراسات الإجتماعيّة من مدرسة إلى أخرى، مثلًا، فقد تخصّص مدرسة ثلاث حصص لمناقشة القوميّة العربيّة في حين تأتي مدرسة أخرى على ذكرها مرور الكرام.

أيّدَ المشاركون الأكبر سنًّا التّوضيح التّاريخيّ تأييدًا كبيرًا. لكن، على عكس المشاركين الأصغر سنًّا، أعرب هؤلاء المُشاركون، ولاسيما النساء منهم اللواتي وُلدن قبل الحرب، عن رؤية تستند أولًّا إلى تخليد ذكرى الفرد على صعيدي الأسرة والجماعة. واعتبروا هذا التّخليد المُحدّد الإطار استراتيجيّة مهمّة لتذكّر الماضي لئلا تعاود الأجيال القادمة الكرّة. وقد أعربت دلال عن شعورها قائلة:

---

٦٤ أحمد بيضون، مقتبس في أتاسي،
Atassi, "War, Peace and History in Lebanon: A Conversation with Ahmad Beydoun," Accord 24 (2012), 19.

- الشباب لازم يعرف شو صار بالماضي وإنو ما حدا وصل لنتيجه، ومنا لعبه. لازم تكون واضحة الصورة.[٦٥]

إذًا، دعا المشاركون الأكبر سنًّا إلى تخليد الذّكرى كوسيلة لتأكيد عدم جدوى أعمال العنف والمعاناة المُضنية التّي تنتج منها. وبذلك، فهم أيّدوا شكلًا مُحدّدًا من أشكال الحقيقة ينطوي على هدف واضح المعالم بالمقارنة مع "الحقيقة القضائيّة"[٦٦] التّي دعا إليها المشاركون الأصغر سنًّا. وقد أوضحت مناقشة دارت بين مقيمين في منطقة الحمراء من الجيل الأكبر سنًّا ماهيّة هذه الحقيقة الأكثر تحديدًا:

- رانيا: لازم الشباب يتعلمو شو صار، بس بأسلوب يفهمو منو بطريقة ايجابيه.
- نادر: فينا نقول، من زمان كانو اللبنانيين يقتلو بعض. ما منقول هيدا السني عمل هيك أو الشيعي عمل هيك. هيك منرضي الكل ومنكن حكينا بدون ما نجيب سيرة الإشيا الموجعة.
- منال: يعني يعرف الجيل الجديد شو صار بالحرب بس ما يصير في عندو حقد.[٦٧]

ورد مفاد هذا الحديث المُحدّد في بعض التّعليقات التّي أدلى بها المشاركون الأصغر سنًّا، مثلاً:

- بخبروني الكبار وبقولو ياريتنا ما شاركنا. كل يلي شارك بالحرب، هلأ بيندم. كان في دمار كتير وفي ندم.[٦٨]

وقد ظهرت اختلافات ملحوظة في نمط الرّوايات التاريخية والقصص الشخصيّة وفقًا لتعرّض المشارك لأعمال العنف على نحوٍ مباشر أو غير مباشر. إذ أخبر المشاركون ممّن تعرّضوا مباشرةً لأعمال العنف قصصًا شخصيةً مرتبطة بأحداثٍ مُحدّدةٍ تنمّ عن أعمال العنف الشّديدة. فعلى سبيل المثال، ياسمين، وهي مشاركة من الجيل الأكبر سنًّا تسكن في منطقة طريق الجديدة/ المزرعة، أعربت عن رأيها قائلةً:

- الشعور كان كتير صعب. كنت ساكنة على السوديكو راس النبع، كان خط تماس رهيب. تهجرت كان عندي طفله على أيدي عمرها شي أسبوع. نزل بيتي كلو، ولو ما نضهر من البيت وننزل نوقف بالشارع كنا رحنا كلنا بقلب البناية. كانت مأساة سنة ١٩٨٠.

أمّا المشاركون الّذين لم يتعرّضوا مباشرة لأعمال العنف، فركّزت قصصهم عن الزمن الماضي على المستويين النّظامي والمجتمعي بشكلٍ أكبر. إذ فسّر شربل وهو من أبناء منطقة الأشرفية/ سن الفيل ما يلي:

- الحرب أثرت على الوضع بشكل عام، الغلاء المعيشي، البطالة، إنعدام قطاع الخدمات– هيدا كلو نتيجة الحرب. أي شي بتلاقي مشكله بحياتك عم بتواجها، بتفكر بأساسها بترجع بتوصل عالحرب. لبنان كان معروف إنو في كتير عالم لا غنيه ولا فقيرة، عايشه بوضع مرتاح، بعد الحرب راح هيدا الموضوع، صار في غني وفي فقير. بطل في الواحد يكون عايش مرتاح.[٦٩]

---

٦٥ مجموعة التركيز رقم ٩، انظر الجدول رقم ١.

٦٦ أشار تقرير لجنة جنوب إفريقيا لتقصّي الحقائق والمصالحة الصادر في العام ١٩٩٨ إحالة إلى الحقيقة المبنية على الوقائع والحقيقة الجنائية التي تتضمن: (١) حقيقة الأحداث الفردية، والحالات والناس، (٢) وحقيقة طبيعة الانتهاكات الخطرة لحقوق الإنسان، وأسبابها، وامتدادها، بما في ذلك سوابقها، وظروفها، والعوامل الخاصة بها، والإطار، والدوافع ووجهات النظر التي أدّت إلى ارتكاب مثل هذه الانتهاكات.
Truth and Reconciliation Commission of South Africa, Final Report, 1998, Vol. 1, 111–112, 135.

٦٧ مجموعة التركيز رقم ١٥، انظر الجدول رقم ١.

٦٨ مجموعة التركيز رقم ٨، انظر الجدول رقم ١.

٦٩ مجموعة التركيز رقم ٤، انظر الجدول رقم ١.

٦-٣ وجهات النّظر حول العدالة والمحاسبة

أثارت التّعليقات الأكثر شيوعًا بين المشاركين مفهومين اثنين هما المساواة القانونيّة والتصدي للتّمييز القائم على أساس طائفيّ. وقد اشتكى المشاركون جميعهم بمن فيهم الأصغر سنًّا والأكبر سنًّا، وضحايا العنف أكان مباشرًا أم غير مباشر، والمسلمين والمسيحيّين، وحتّى المتحدّرين من أحياء مختلفة من الظّلم والتّمييز القائمين على البنية الطّائفيّة التّي تؤجّجها المؤسّسات السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية الحاليّة. وأجمعَ المُشاركون على أن المحسوبيّة في التّرتيبات السّياسيّة لا تزال تذكي حدّة التّوترات الطّائفيّة. وقد أوضحت زينة، وهي سيدة من الجيل الأكبر سنًا تقطنّ في الحمراء: "الإنصاف لما تحس حالك إنت لبناني، مش إنت من طائفه معينه. لما تكون إنت مسيحي وأنت مسلم، وإنت شيعي، بتحس دائماً بالعنصريه."[٧٠]
بالإضافة إلى ذلك، أكّد المشاركون الأكبر سنًّا وكذلك الذين تعرّضوا مباشرةَ لأعمال العنف على أهميّة الإقرار بأخطاء الماضي. فذكر مصطفى، وهو رجلٌ من منطقة الشياح/ حارة حريك تعرّض مباشرةً لأعمال العنف، ما يلي: "الإنصاف لإلي إنو أعرف من يلي قتل خيي، أو بي، أو زوجي."

هذا وشدّد بعض ضحايا أعمال العنف المباشرة على أهميّة المحاسبة الجنائيّة على جرائم حرب وغيرها من أعمال العنف:

- رسمية: الإنصاف هو الفرصة لبناء المستقبل.
- حنان: لازم يتحاسب يلي كان مسبب. محاسبة يلي عمل هالجرائم كلها [...]. صار مسامحة بين السياسيين، بس نحن كأهل ما صار في مسامحة. أنا ما بنسا خيي شاب فقدنا. في بيوت كاملة راحت[٧١].

أمّا المشاركون الأكبر سنًّا ممّن تعرّضوا مباشرة لأعمال العنف، فقد اعتبروا أن العدالة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعاناة من هذه الأعمال وبمفهومٍ نظاميّ شاملٍ ينطوي على عدم التّمييز والمساواة أمام القانون.

وعند السؤال عن المحاسبة على أعمال العنف الماضية، أعرب المشاركون جميعهم عن تشاؤمهم ويأسهم من أيّ محاسبة حقيقيّة في المستقبل المنظور. وتساءلوا جميعًا: "من سيقوم بهذه المهمة؟" هذا وقد سيطر شعورٌ بأنّ القادة السّياسيّين الحاليّين والنّظام السّياسيّ جزءٌ لا يتجزّأ من نظام المحسوبيّة، الأمر الذي لا يُخوّلهم تأدية دور الرّاعي الشّرعيّ للعدالة ومبادرات المحاسبة.

أمّا عند السّؤال مجددًا بشكلٍ دقيق عن أبعاد المحاسبة الحقيقيّة، تباينت الآراء حول الشّكل والمُستهدفين. إذ دعا عددٌ ضئيلٌ من المشاركين إلى أمر من اثنين إمّا العفو عن الجميع أو إمّا محاكمة الجميع، غير أنّ الغالبيّة السّاحقة من المشاركين أفصحت عن رؤية عمليّة ومؤقتة لعمليّة التّطهير القائمة على الأدلة التي تمنع المسؤولين عن أعمال العنف المرتبطة بالحرب، من تولّي مناصب انتخابيّة.

- عبلة: أنا برأي إنو منحاسبن بإنتخاب إنسان جديد.
- جويل: ونشيل السياسيين اليوم من موقعن ونجردن من حقوقن. بصير متلن متل أي إنسان.
- دانيا: هيدا الشي ما بصير.

٧٠ مجموعة التركيز رقم ١٣، انظر الجدول رقم ١.
٧١ مجموعة التركيز رقم ١٢، انظر الجدول رقم ١.

- رولا: لازم يكون الشعب واعي تيعرف يحاسب.
- دانيا: مش كل الناس عند الوعي الكافي لما تولع الحرب. في ناس بتقلك أنا مع فلان لو شو ما صار.[٧٢]

أيّد المشاركون الأصغر سنًّا اتّخاذ تدابير محاسبة شاملة تستهدف كلًّا من القادة والمقاتلين، فيما دعا المشاركون الأكبر سنًّا إلى اعتماد تدابير محدودة النطاق تُطبّق على القادة السّياسيين وزعماء "المحيط" وحسب. ومع ذلك، أجمع المشاركون على أنّ الدّافع وراء المحاسبة يتجسّد في الحاجة إلى التّأكيد على سيادة القانون وعدم استخدامه لإرساء عدالة عقابيّة ضدّ طوائف أخرى.

هذا وتحدّث المشاركون الأكبر سنًّا بشكلٍ مختلفٍ عن فصولٍ بارزة من الحرب، أو بالأحرى، النّزاعات بين الجماعات اللّبنانيّة المحليّة مقابل النّزاعات بين جهات اللّبنانيّة محليّة (أي أعمال العنف المُحرّم التكلم عنها) والجهات الأجنبيّة (أي أعمال العُنف المرتقبة).

وقد اتضحَ اعتبارهم "الصراعات الداخلية"، ولاسيما الاقتتال الطّائفيّ، بمثابة صراعات عالية الخطورة. وأوضحت مهى، وهي إمرأة من الجيل الأكبر سنًّا تسكن في مخيّم برج البراجنة، أنّها ترى الصّراع الدّاخلي وأعمال العنف المرتبطة به أكثر سوءًا من أعمال العنف التي يرتكبها المعتدون الأجانب:

- حرب المخيمات أكتر شي نأذينا منها، أكتر من مجزرة صبرا وشاتيلا. لا كانو يرحموا مراة ولا طفل ولا شاب. الشجر كانو يحرقو... يعني اسرائيل عارفينها عدوتنا ودبحت فينا وصرنا عارفين إنو إسرائيل عدوتنا. حرب المخيمات أثرت فينا لأنا مسلمه. نحن نفكر ونقول نحن وهدول إسلام، له عم يعملو فينا هيك؟ ما كنا نعرف شو شيعة وشو سني.

بالإضافة إلى ذلك، وكما يبدو من خلال حديثٍ دار بين شخصين من سكّان منطقة الأشرفية، أدّت أعمال العنف الدّاخليّة إلى انقسامات ضمن العائلات:

- روز: هي أبشع حرب كانت حرب القوات والكتائب. اخوي قتلو بعضن. كانت بشعة كتير.
- إحسان: الحزازيات بين المسلم والمسيحي أهون ما تكون بين مسيحي ومسيحي أو بين سني وشيعي. بتلاقين بيعلقو بعدن بقلب نفس البيت.[٧٣]

بالنّسبة إلى المشاركين الأكبر سنًّا، تتوقف التصورات حول حدّة الاعتداءات والمسؤوليّة الفرديّة المترتّبة عنها على نوع عمل العنف المُقترف، أكان مُرتكبُه معتدٍ أجنبي أم جهة داخليّة. كُثرٌ يفضّلون عدم التطرّق إلى النوع الثاني آنف الذكر ولذلك قلّما يفهمه الشّعب اللبناني. ويفرض هذا التقسيم مفهومًا بأنّ القسوة تختلف باختلاف انتماء المُرتكبين، غير أنّ العدالة الانتقاليّة تسعى إلى إدراج القساوة والمسؤوليّة في القوانين والمعايير المرعية الإجراء عالميًّا في ما خصّ حقوق الإنسان.

٦-٤ التعويض وجبر الضرر الاجتماعي: أسئلة حول الشّكل والوظيفة

وقد اختلفت المفاهيم التّي عبّر عنها المشاركون حول جبر الضرر الاجتماعي والشفاء اختلافًا جذريًّا فمنهم من أثارَ مفاهيمَ مصالحةٍ تنطوي على قدرٍ كبير من الفردية ومنهم من تحدّث عن إجراءاتٍ

٧٢ مجموعة التركيز رقم ٦، انظر الجدول رقم ١.

٧٣ مجموعة التركيز رقم ٦، انظر الجدول رقم ١.

واسعة النطاق تشمل "المحيط" أو الجماعة. وكان من بين المُشاركين، ضحايا العنف المباشر الّذين رفضوا إمكانية جبر الضرر والشفاء، وضحايا العنف غير المباشر الّذين دعوا إلى اعتماد مقاربة مشتركة بين الأجيال تحقيقًا لجبر الضرر الاجتماعي؛ وهي مُقاربةٌ تفترضُ اتخاذ خطواتٍ إيجابية لصالح أفرادٍ حَرَمَ العنفُ أباءهم من فرص التّعلّم والعمل، وغيرها من الفرص الاجتماعية والاقتصادية. وأوضحت حنان، وهي من أبناء الجيل الأكبر سنًّا وتقيم في مخيم برج البراجنة ما يلي:

- لازم يعوضولنا حقنا، مش مادي. نحن خسرنا شبابنا. ليوم بعوضولنا حقنا بتوظيف بناتنا وشبابنا وما يضيعولن حياتهم.

وحدها مجموعات التركيز التي انحصرت فيها المشاركة على الأكبر سنًّا، تناولت بعض مفاهيم الشفاء وجبر الضرر الاجتماعي التي تعتمد على نسيان الماضي. أمّا مجموعات التركيز التّي شملت أعمارًا مختلطة أو انحصرت فيها المشاركة على الشباب، فأثارت مفاهيم للشّفاء تعتمد على تقديم خاتمة للمعاناة إلى ضحايا العنف المباشر وذلك من خلال الإقرار بالأخطاء الماضية أو على التركيز على تعزيز سيادة القانون بغية التغلب على انعدام الثّقة والتّمييز القائمين على الطائفيّة.

وفسّرت ياسمين، وهي إمرأة من الجيل الأكبر سنًّا تقطن في منطقة طريق الجديدة، أنّ:

- تضميد جراح الحرب بصير لما تشوف ولادك عاشو حياة أفضل منك.

إذًا، أشارَ بعض المشاركين، ولاسيما المقيمين في منطقة طريق الجديدة ومخيّم برج البراجنة والشياح/حارة حريك، بشكلٍ صريحٍ إلى عمليّات جبر الضرر التّي من شأنها مواجهة الظّلم البنيوي المرتبط بالحرب من خلال اعتماد طرق عمليّة لوضع حدّ لنظام المحسوبيّة السّياسيّة القائم على النّظام الطّائفيّ.

من جهة أخرى، اعتبر المشاركون في مجموعات التركيز كلّها أنّ التّعويضات الرّمزيّة تكاد قيمتها لا تُذكر، وشدّدوا، في المقابل، على مبادرات جبر الضرر التي من شأنها أن تعالج مباشرةً الأنظمة التّمييزيّة مثل التّمييز الطّائفيّ في نظم التّعليم والتّوظيف. ينبع هذا الشّعور من الإقرار بالعلاقة الوطيدة بين أعمال العنف الإستثنائيّة في النّزاعات المسلّحة الماضية وتلك التي نشهدها بشكل يوميّ في لبنان، ومن جملتها الإقصاء الاجتماعي، والتّمييز والتهميش المبني على أساس الهويّة السياسيّة.

ومن هذا المنطلق، لم تقتصر رؤية التّعامل مع الماضي التّي ناشد بها المشاركون على معالجة أعمال العنف الاستثنائيّة في النّزاعات المسلّحة الماضية وحسب، بل شملت أيضًا معالجة العواقب الطّويلة الأمد المترتّبة على أعمال العنف وإدراك تأثيرها في البُنى الأساسيّة التي يقوم عليها كلّ من نظام الحكم والعلاقات الاجتماعية في لبنان.

وقد هيمن شعور موحّد أجمعت عليه مجموعات التركيز وتجسّد في انعدام الثّقة بقدرة القيادة السّياسيّة الحاليّة والبنى الحكوميّة القائمة على تعزيز عمليّات العدالة الانتقالية غير المُنحازة والآيلة إلى الإصلاح المؤسّساتيّ. ففي عدد من مجموعات التركيز، أعرب المشاركون أيضًا عن انعدام الثقة بدافع الجهات الحكومية الدولية الفاعلة وبقدرتها على تأدية أدوار فعّالة في إطلاق مبادرات عدالة انتقاليّة هادفة وبنّاءة من شأنها مساعدة سكّان لبنان المتنوعين. هذا وقد شكّك المشاركون في

المحاكم الدّوليّة، الأمر الذي بدا جليًا في نقاش دار بين أشخاصٍ من الجيل الأكبر سنًّا والمقيمين في منطقة طريق الجديدة:

- أمل: ما عنا ثقة بالمحكمه الدوليه.
- فاتن: مسخرة.
- نوال: ما خصنا فيا.
- أمل: نحن كعرب ما بينصفونا المحاكم الدوليه، لأنو هني بدن رقبتنا تكون مكسورة للأرض.

ونظرًا إلى انعدام الثّقة هذا، اعتبر المشاركون ممّن دعموا فكرة "مواجهة الماضي" المجموعاتِ غير المُنحازة والمنظّماتِ غير الحكوميّة وسائلَ فاعلة من شأنها تقديم توضيح تاريخيّ والحثّ على الحوار بين الطّوائف حول العدالة، والمحاسبة والإصلاح المؤسّساتيّ. وأوضح حسام، وهو شابّ من منطقة الشّياح/ حارة حريك، وجهة نظره قائلاً:

- ما بعرف إذا بتصير بلبنان. بس ليش ما مندعم الهيئات والمنظمات غير الطائفيه؟ متل منظمات مدنيه وحقوق الإنسان وإعالة المتضررين من الحرب والناس يلي بدا تشتغل لمصلحة البلد؟

إذًا، حدّد المشاركون، خلال نقاشات مجموعات التركيز هذه، المنظّماتِ غير الحكوميّة ومجموعات "المحيط" على أنّها أدوات غير منحازة قادرة على تذليل الانقسامات الطّائفيّة ضمن المجتمع اللّبنانيّ. وعلى الرّغم من ذلك، ونظراً إلى تجرّد أعمال جبر الضرر الرّمزيّة من أي قيمة تُذكر، يبقى التّحدي بالتوصّل إلى مقاربة متكاملة تقرّ بأخطاء الماضي وتواجه في الوقت عينه العواقب الاجتماعيّة والاقتصاديّة المتأتّية عن حروب لبنان.

٧. دراسة حالة: بدنا نعرف، مشروع تاريخ شفوي

كان مشروع "بدنا نعرف" تمرينًا تاريخيًا شفويًّا أجراه المركز الدّوليّ للعدالة الانتقاليّة في العام ٢٠١١ في المدارس الثّانويّة في بيروت.[٧٤] وقد شجّع المشروعُ على تحاور الأجيال حول الحرب مع تسليط الضوء على تأثير أعمال العنف في يوميّات سكّان بيروت الكبرى الحاليّين. فقام طلاب المدارس الثّانويّة في بيروت بتوجيه أسئلةٍ إلى أفراد عائلاتهم الأكبر سنًّا، طالبين منهم التّحدّث عن تجاربهم خلال الحرب، والتركيز على قضايا من قبيل تأمين الحاجات الأساسيّة في وقت الحرب، وعبور الحواجز، والتّعايش مع الخوف والرّعب، وفقدان الأحباء، وتأدية الطّقوس وإقامة الإحتفالات خلال الحرب. إذ رمى هذا المشروع إلى الرّد على الرّوايات الاجتماعيّة المعاصرة والمهيمنة التّي تمجّد الحرب وتصوّر الحياة خلالها على أنّها حياة طبيعيّة.

أمّا أهداف مشروع بدنا نعرف الأساسيّة فهي التالية:

١. رفع مستوى فهم الشّباب لأعمال العنف السّياسيّة ونتائجها خلال الحرب الأهليّة وتأثيراتها في الأفراد على المدى البعيد؛

٢. نشر الوعي بين الشّباب حول تأثير الحرب في جيل آبائهم؛

٣. تسهيل المناقشة بين جيلين في بيئة آمنة ومُحدّدة المعالم؛

٤. تدريب طلّاب المدارس الثّانوية على استخدام التّاريخ الشّفويّ ورواية القصص كوسيلةٍ لتعلم العِبر من الماضي وتهيئتهم لمواجهة الحاضر المضّطرب والمستقبل؛

٥. إنشاء أرشيف من قصصٍ تركّز على تجارب الصّراع الإنسانيّة، على أن يوضع هذا الأرشيف تحت تصرّف الجميع وفي متناول المدارس أيضًا لتوظّفه في مناهجها الخاصّة.

من المُجدي، إذًا، مقارنة بعض النتائج التي توصل إليها مشروع "بدنا نعرف" بتلك التي استُنتجت من مشروع مجموعات التركيز الحالي.

اختلفت طبيعتا هذين المشروعين، إذ اتخذت نقاشات مجموعات التركيز شكلَ حوارٍ جماعيّ يدور

٧٤ المركز الدولي للعدالة الانتقالية، "إرث لبنان من العنف السياسي: مسح للإنتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ما بين عامي ١٩٧٥ و٢٠٠٨"، ٢٠١٣.

ICTJ, "Lebanon's Legacy of Political Violence: A Mapping of Serious Violations of International Human Rights and Humanitarian Law in Lebanon, 1975–2008," 2013, 1.

بين الأجيال المُختلفة أو ضمن الجيل الواحد. أمّا مشروع "بدنا نعرف"، القائم على شهادات تاريخ شفويّة، فسمح لطلّاب المدارس الثّانوية بتسجيل روايات الأكبر سنًّا المفتوحة، الأمر الذي من شأنه أن يُبيّن اختلاف طبيعة الرويات الشفوية المُتناقلة عبر الأجيال وأسلوبها باختلاف انتماء العائلة الديمغرافي، ويُبرز كيفية نقل تجارب الأفراد مع الحرب الأهلية إلى المراهقين. وعليه، قام مشروع "بدنا نعرف" بتوثيق روايات أحاديّة الاتجاه حول أعمال العنف المتعلّقة بالحرب، فيما وثّقت دراسة مجموعات التركيز طبيعة المحادثات المتعدّدة حول أعمال العنف المتعلّقة بالحرب وديناميكياتها من جهة والتّعامل مع إرث أعمال العنف هذه من جهة أخرى.

خلال مشروع "بدنا نعرف"، قام ٤٠ تلميذًا من ١٢ مدرسة[٧٥]، بجمع ١٢٩ شهادة. وقد حظيت المدارس المشاركة في المشروع بدعم الإدارة وطاقم المدّرسين كما تمّ توفير الوقت والموارد لدعم مشاركة الطّلاب في هذا المشروع. وفي معرض هذه الشّهادات، أشار الأشخاص الّذين أدلوا بشاهداتهم إلى ١٩٧ حدثٍ عنيف مرّوا به سابقًا، ومن بين تلك الأحداث القتل، وحالات الإخفاء القسريّ، الوفيّات نتيجةً إصابة، والإصابات غير القاتلة وتدمير الممتلكات.

الجدول رقم ٣: تصنيف أشكال أعمال العنف المذكورة في شهادات مشروع بدنا نعرف

شكل أعمال العنف	النسبة	العدد
القتل	٢٦،٩٪	٥٣
الإصابة	٢١،٨٪	٤٣
الوفيّات نتيجة إصابة	٢١،٨٪	٤٣
تدمير الممتلكات	١٥،٢٪	٣٠
الإخفاء	١٤،٢٪	٢٨
المجموع	١٠٠٪	**١٩٧**

ركّزت الرّوايات الشّفويّة على صعوبة الحياة اليوميّة خلال فترة الحرب الأهليّة أكثر من تركيزها على أحداث أعمال العنف الشديد التي تتمحور حولها. وأوضح أصحاب الشهادات الاختلال في الحياة اليوميّة الّذي تسبّبت به أعمال العنف المرتبطة بالحرب:

> عندما يبدأ القصف كنا نهرب من بيوتنا. كنا إمّا نمضي ليالينا في الشّوارع أو نحتمي في المباني قيد الإنشاء أو في المرائب أو حتى في المحلات التّجاريّة.

تحدّث المشاركون ممّن نشأوا خلال الحرب عن الأثر الذي خلّفته أعمال العنف في سنوات تنشأتهم التي حكمها دويّ العنف المسلّح ومشاهده، ممّا غرس في نفوسهم شعور الخوف وعدم الاستقرار وذلك من سنًّ مبكرة جدًّا:

> – كنّا نذهب إلى المدرسة ولكن فجأة كان يدقّ الجرس فنركض جميعنا غير مدركين ما يجري. كان المدّرسون يحاولون ألّا يزرعوا الخوف في أنفسنا فيقولون إنّنا سنذهب إلى الملعب. كنا نجهل الواقع ولا نملك أدنى فكرة لم تمّ تعليق الدّروس. فجأةً، كنّا نسمع طلقات ناريّةً في الخارج. كانت

٧٥ شملت المدارس المشاركة: المدرسة الرسمية الثانوية الثانية للبنات في الأشرفية، مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية، مدرسة مسروبيان للأرمن الكاثوليك، مدرسة بزمار، مدرسة الشويفات الرسمية الثانوية، مدرسة سيدة الجمهور، مدرسة راهبات المحبة العازرية، المدرسة الإنجيلية الفرنسية (الكوليج بروتستان)، مدرسة فرن الشباك الثانوية الرسمية للبنات، مدرسة رأس النبع الرسمية للبنين ومدرسة القلب الأقدس– جميزة.

هذه الطّلقات المؤشّر أنّ شيئًا ما يحدث، وأنّ الحرب تدور في الخارج. كان أهالينا يأتون مسرعين إلى المدرسة ليصطحبونا ويساعدونا على الهرب. أثّرت الحرب فيَ شخصيًّا، فقد خسرت بسببها سنةً دراسيةً فلمدة ستّة أو ثمانية أشهر على التّوالي، شهدت البلاد حالة حرب ولم أستطع الذّهاب إلى المدرسة.

ركّز أصحاب شهادات أخرى على تهديدات الحرب التي تحول دون تأمين الاحتياجات البشريّة الأساسيّة على غرار توفير الغذاء، والمأوى والرّعاية الصّحيّة الأساسيّة:

- كلّ ما كنّا نأكله هو الخبز البائت إذ لم يكن من طعام متوفّر غيره. أغلقت المتاجر كلّها نظرًا إلى شدّة الاقتتال وحدّته.

- عانينا، طيلة أيّام، انقطاعَ التّيّار الكهربائيّ حتّى نسينا وجوده أصلًا فتكيّفنا مع استعمال مصابيح الغاز والشّموع.

- كان كلّ شيء صعبًا. حتّى الدّواء لم يكن متوفرًا، مثله مثل الماء والخبز. في بعض الأحيان، كان من الصّعب نقل أحد الأفراد المصابين أو المرضى إلى المستشفى بسبب الحواجز والقصف. حتّى أنّه تمّ قصف المستشفيات بكثافة خلال الحرب. كنّا غير قادرين على الوصول إلى صيدليّة وإذا تمكّنا من الوصول، كنا نجد الصيدليّات مغلقة. أحيانًا كنّا مضطرين إلى هدم جدار الصّيدليّات الخلفيّ من أجل الحصول على أدوية وإعطائها للأشخاص المرضى.

توفّر هذه الشهادات الشخصيّة عاملًا مختلفًا يُساعد على الوقوف في وجه تمجيد أعمال العنف الحربيّة وتثمينها. إذ تؤرّخ هذه الشّهادات بشكلٍ أساسيّ صعوبة الحياة اليوميّة، فتمدّ الأشخاص الّذين ولدوا بعد الحرب بلمحةٍ عن الفرص الضّائعة وعن الشعور بالخوف وعدم الاستقرار الذي لطالما رافق أعمال العنف ولازمها. وبذلك، تتشابه هذه الشّهادات، بطريقةٍ أو بأخرى، في الشّكل والمضمون مع بعض مجموعات التركيز المؤلّفة من أشخاص عاشوا فترة الحرب الأهليّة وشاركوا تجاربهم مع المشاركين الأصغر سنًّا.

في بعض الحالات، تناولت شهادات التّاريخ الشّفويّة منطق المشاركة في الحرب والدّوافع الكامنة ورائها، ومن ضمن تلك الشهادات هذا الاقتباس عن لسان مقاتل سابق كان عضوًا في الجبهة اللّبنانيّة:

- دوافعي إلى المشاركة في الحرب هي نفسها الافتراضات التي أدّت إلى الحرب: إضطهاد المسيحيّين ومحاولة تهجيرهم من لبنان ودفعهم إلى مغادرة أرضهم وإزالتهم من لبنان.

ينسجم مضمون الروايات وأسلوبها مع استراتجيات تكوين الذاكرة، التي ينخرطُ فيها الجيل الأكبر سنًّا بدافعٍ من منطق "تنذكر وما تنعاد".

ويوضّح مشروع "بدنا نعرف" الأسلوب المُمكن اتباعه من أجل تشارك التجارب والمعلومات المتعلقة بالعنف المرتبط بالحرب مع الأجيال الأصغر سنًا، كما يسلط الضوء على شحّ السجلات المُدوّنة حول الحروب اللبنانية. هذا ويقدّم المشروع لمحةً عن تناقل التاريخ شفويًّا أبًا عن جد، وهو تقليد يُمارس في العائلات اللبنانية وفي الأحياء.

سهّلت هذه الشهادات إقامةَ حوار بين أبناء الأجيال المختلفة حول الماضي، وأنتجت مجموعةً من تجارب الحرب الشخصيّة. فصحيحٌ أنّ التّجارب الشّخصيّة هذه مفيدة ومُجدية، إلّا أنّها لا

تسلّط الضّوء كما ينبغي على سّياقيْ فترة الحرب الأهليّة التّاريخيّ والسّياسيّ الأوسع نطاقًا، ولا تُمعن النظر في مدى تأثير أعمال العنف الحربية في المجتمع اللّبنانيّ المعاصر الذي أمسى، بفعلها، مُقسّمًا إلى جماعاتٍ طائفيّة ضمن الأحياء المحليّة. وتشدّد المحدودية هذه على أهميّة القيام بعمليّات توثيق متعدّدة وبمبادرات حوار كثيرة بما في ذلك الروايات الشفويّة ونقاشات مجموعات التركيز والمساعي الأخرى على غرار المشاريع الأرشيفيّة والوسائط المتعددة والمقابلات المتعمّقة.

٨. الخاتمة

يتّصف الشّعب اللّبنانيّ، على الرغم من حجمه الصغير نسبيًّا، بتبايناته الكبيرة وبانقساماته الطّائفيّة والديمغرافيّة على حدّ سواء. وقد أنتجَ هذا التّنوّع السّكانيّ مجموعةً متنوعةً من تجارب الحرب والرّوايات المبنيّة على الماضي الذي اختلفت التصوّرات حوله باختلاف الطّائفة، والنّوع الإجتماعيّ والجيل. وعلى الرّغم من تباين التّجارب المتعلّقة بالحرب، أجمعَ المشاركون في مجموعات التركيز الخمس عشرة على أنّ أعمال العنف السّياسية في لبنان لا تزال مستمرّة وتُسفر عن عدم استقرارٍ وعدم أمان يدفعان المشاركين إلى الاعتقاد بأنّ الحديث عن اجتياز مرحلة العنف السياسي سابق لأوانه. ويفرض هذا الأمر تحديًّا أمام الباحثين وواضعي السّياسات الذين عقدوا العزمَ على إدراج الرّأي العامّ في صياغة مبادرات العدالة الانتقاليّة.

وتطرّقت هذه الدراسة إلى الاختلافات بين شرائح المجتمع في خمسة أحياء من بيروت الكبرى، وذلك لجهة الحديث عن ماضي لبنان المتأثّر بالحرب ولجهة تحديد المُقاربات المُقترحة للتّعامل مع تداعيات الماضي هذا. وقد خلُصت النّتائج إلى أنّ تباينًا شاسعًا يبرزُ في أحاديث شرائح مختلفة من المجتمع اللبناني عن الماضي.

وقد لوحظَ التّباين هذا، بشكلٍ خاص، في أحاديث الأجيال المختلفة حول الحرب في لبنان، إذ برزَ انقسامٌ بين الأجيال المُشاركة في مجموعات التركيز حيالَ مبادرات الحقيقة والذاكرة. فالأشخاص الذين وُلدوا بعد العام ١٩٩٠، كانوا الأكثر تأييدًا لعملية المصارحة غير المقيدة وواسعة النطاق. أمّا الأجيال الأكبر سنًّا، ولاسيّما النساء، فتتبنّى رؤية حول الحقيقة والذاكرة تقوم أساسًا على تخليد ذكرى فرديّة على مستويَي الأسرة و"المحيط" أو الجماعة. ويشكّل هذا الانقسام بين الأجيال تحديًّا أمام واضعي سياسات العدالة الانتقالية، لجهة إطلاق مبادراتٍ تعتبرها الأجيال الشّابة والأكبر سنًّا بنّاءةً لدفع عجلة ترسيخ السّلام، والتّوضيح التّاريخي، والمحاسبة.

لم ينطوِ مفهوم العدالة الأكثر شيوعًا الّذي أثاره المشاركون من تلقاء أنفسهم على المحاسبة الجنائيّة، بل ركّزَ المشاركون على مفهوم المساواة القانونيّة بين الأديان والطّوائف إلى جانب المُصارحة حول أعمال العنف الماضية والإقرار بما نتجَ منها من الظّلم. وقد شكى المشاركون جميعهم من الظّلم والتّمييز القائمين على البنية الطّائفيّة التّي تؤجّجها المؤسّسات السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية الحاليّة. وأجمعَ المُشاركون على أن المحسوبيّة في التّرتيبات السّياسيّة قد صعّدت من حدّة التّوترات الطّائفيّة المستمرّة.

عندما طُرح موضوع المحاسبة على أعمال عنف جرت في الماضي، أعرب المشاركون، جميعهم دونما استثناء، عن تشاؤمهم ويأسهم من إمكانية التّوصّل إلى محاسبة مُجدية في المستقبل المنظور. وقد تباينت تصوّراتهم لشكل المحاسبة المجدية هذه. فالغالبيّة السّاحقة من المشاركين تحدّثت عن عمليّة التّطهير القائمة على الأدلة التي تمنع المسؤولين عن أعمال العنف المرتبطة بالحرب، من تولّي مناصب انتخابيّة. أمّا المُشاركون الأكبر سنًّا، فقد أيّدوا اتخاذ تدابير مُحاسبة تُطبّق حصرًا على القادة السياسيّين وزعماء الطوائف. وفي المقابل، دعا المشاركون الأصغر سنًّا إلى توسيع نطاق المحاسبة لتشمل كلًّا من القادة والمقاتلين.

وقد اختلفت المفاهيم التّي عبّر عنها المشاركون حول جبرر الضرر الاجتماعي والشفاء اختلافًا جذريًّا فمنهم من أثارَ مفاهيمَ مصالحةٍ تنطوي على قدرٍ كبير من الفردية ومنهم من تحدّث عن إجراءات واسعة النطاق تشمل "المحيط" أو الجماعة. وكان من بين المُشاركين، ضحايا العنف المباشر الّذين رفضوا إمكانية جبرر الضرر الاجتماعي والشفاء، وضحايا العنف غير المباشر الّذين دعوا إلى اعتماد مقاربة مشتركة بين الأجيال تحقيقًا لجبر الضرر الاجتماعي.

غير أنّ الشّعور الموحّد الذي أجمعت عليه مجموعات التركيز تجسّد في انعدام الثّقة بقدرة القيادة السّياسيّة الحاليّة والبنى الحكوميّة القائمة على تعزيز عمليّات العدالة الانتقالية غير المُنحازة والآيلة إلى الإصلاح المؤسّساتيّ. ففي عدد من مجموعات التركيز، أعرب المشاركون أيضًا عن انعدام الثقة بدافع الجهات الحكومية الدولية الفاعلة وبقدرتها على تأدية أدوار أساسيّة في المبادرة إلى تحقيق العدالة الانتقالية. هذا واعتبرَ المشاركون ممّن دعموا فكرة "مواجهة الماضي" المجموعاتِ غير المُنحازة والمنظّماتِ غير الحكوميّة جهاتٍ فاعلة من شأنها إيضاح الماضي وتفعيل الحوار بين الطوائف حول العدالة والمحاسبة والإصلاح المؤسّساتيّ.

وتشير نتائج الدراسة إلى وجوب أن تأخذ مبادرات العدالة الانتقالية تجارب السّكّان المحلّيّين وثقافتهم بعين الاعتبار وأن تجعلها أولى أولوياتها، لكي تجدي المبادرات هذه نفعًا. ويعني ذلك، بشكلٍ خاص، إدراك كيف أنّ طبيعة المؤسسات الحاليّة وممارساتها، مثل ممارسات التّوظيف القائم على المحسوبيّة في القطاعين العامّ والخاصّ، توسّعان رقعة أعمال الظلم المرتبطة بالحرب. فتجاهل تجارب السّكّان المحلّيّين وتصوّراتهم من شأنه أن يزيد من تهميش المجتمع الّذي يعاني أصلاً انقساماتٍ عميقة.

وقد أشارت هذه الدّراسة إلى الصّعوبة في إيجاد مساحات يتحدّث فيها الناس عن التّعامل مع أعمال العنف الماضية، نظرًا إلى الإجماع السائد على أن لا انفصالاً فعليًّا عن دوّامات العنف الماضية. كما سلّطت هذه الدّراسة الضّوء على الحاجة إلى إطلاق مبادرات متخصّصة من شأنها النّظر في طريقة تحدّث النّاس عن أعمال العنف الماضية وفي تفكيرهم حيالَ التّعامل مع إرث هذه الأعمال. هذا وحدّدت الدّراسة فرصًا على صعيد الجماعة تُخوّل بناءَ حوار أكثر انفتاحًا وشموليّةً عن الماضي وتخطّي الانقسامات بين المناطق الجغرافيّة، والنّوع الاجتماعيّ، والأجيال والهويّة السّياسيّة والاختلافات في التّجارب المتعلّقة بالحرب وكشفت هذه الدراسة أيضًا عن تناقضات وتضاربات تسود مشاعر الأفراد والجماعات حيال الماضي.

فبشكل عام، تؤكّد النتائج التي تمّ التوصل إليها إلى أنّه ما من مقاربة سهلة من شأنها إرساء العدالة الانتقالية في لبنان. وقد حدّدت الدراسة، كذلك الأمر، أدواراً تُناطُ بالمنظمات غير الحكومية، وبالمنظمات غير المنحازة من شأنها أن تُعزّز النقاش العام، والحوار ضمن الجماعة، وتبادل المعرفة، وتطوير الطرق الفعّالة الآيلة إلى مُعالجة إرث الحرب المتعدد الأوجه.

قد توفّر هذه الدراسة للباحثين لمحة أوليّة تُخوّلهم فهم الاختلافات بين الأجيال المتعددة، وبين التجارب المتعلّقة بالحرب وبين الأحياء في منطقة بيروت الكبرى. فإمعانُ النظر في الاختلافاتِ هذه أمرٌ غايةٌ في الأهميّة بالنسبة إلى واضعي السياسات الذين يسعون إلى تطوير مبادرات لمعالجة إرث أعمال العنف التّي طال أمدها وإلى ترسيخ مبادئ حقوق الإنسان والعدالة والمحاسبة. إذ إنّ المبادرات السياسية التي تتجاهل التبّاين في التجربة والتّوقعات أو لا تتوقّف عنده مُطوّلًا، قد تعجز عن استيعاب شريحة واسعة من المجتمع اللبناني، ممّا يؤدّي إلى تفويت الفرص المؤثرة.

المراجع

Atallah, Sami. "Reconstruction and peace in Lebanon: Post-war economic policy." Accord 24 (2012): 52–53.

Atassi, Ali. "War, Peace History in Lebanon: A Conversation with Ahmad Beydoun."Accord 24 (2012): 18–19.

Beydoun. Le Liban: Itinéraires dans une guerre incivile. Paris: Karthala-CERMOC, 1993.

Chaoul, Melhem. "La guerre sur les noms de la guerre." L'Orient le Jour, 2008.

Chaoul, Melhem. "The Layout of the War in Lebanon: Political and Confessional Aspects of a Function of Reduction." Social Compass 35:4 (1988): 607-624.

شرارة، وضاح، خروج الاهل على الدولة، خروج الأهل على الدولة: ربيع ١٩٧٣، فصل من تأريخ الحروب الملبننة، المسار للنشر والابحاث والتوثيق، ١٩٩٩.

Choueiri, Youssef, editor. Breaking the Cycle: Civil Wars in Lebanon. London: Stacey International, 2007.

Chrabieh, Pamela. "Breaking the vicious circle: Contributions of the 25-35 Lebanese age group." In Breaking the Cycle: Civil Wars in Lebanon. Stacey International, 2007.

De Clerck, Dima. "Ex-militia Fighters in post-war Lebanon." Accord 24 (2012): 24–26.

الخوري، الياس، مملكة الغرباء، دار الأداب، بيروت، ١٩٩٣.

The Kingdom of Strangers. Translated by Paula Haydar. University of Arkansas Board of Trustees, 1996.

Faour, Muhammad A. "Religion, Demography, and Politics in Lebanon." Middle Eastern Studies 43:6 (2007): 909–921.

Gready, Paul. "Re-conceptualizing Transitional Justice: Embedded and Distanced Justice." Conflict, Security & Development 5:1 (2005): 3–21.

Haugbølle, Sune. "Dealing with Lebanon's Past: Remembering, Reconciliation, Art and Activism." Accord 24 (2012): 15–17.

Haugbølle, Sune. "The (Little) Militia Man: Memory and Militarized Masculinity in Lebanon." Journal of Middle Eastern Women's Studies, 8(1): 115-139, 2012b.

Haugbølle, Sune. War and Memory in Lebanon. London: Cambridge University Press, 2010. Oztan. http://www.mepc.org/create-content/book-review/war-and-memory-lebanon, 2010.

Hayner, Priscilla B. Unspeakable Truths: Facing the Challenge of Truth Commissions. New York: Routledge, 2002.

ICTJ, and HRC/UCB. Iraqi Voices: Attitudes Towards Transitional Justice and Social Reconstruction. A Joint Publication of the International Center for Transitional Justice and Human Rights Center, University of California, Berkeley, 2004.

International Center for Transitional Justice (ICTJ). “Confronting the Legacy of Political Violence in Lebanon: An Agenda for Change,” 2014.
المركز الدولي للعدالة الانتقالية، «مواجهة إرث العنف السياسي في لبنان: برنامج للتغيير»، ٢٠١٤.

International Center for Transitional Justice (ICTJ). “Failing to Deal with the Past: What Cost to Lebanon?” A report commissioned by the International Center for Transitional Justice, 2014.
المركز الدولي للعدالة الانتقالية، "عدم التعامل مع الماضي: أي تكلفة على لبنان؟"، ٢٠١٤.

International Center for Transitional Justice (ICTJ). “Lebanon’s Legacy of Political Violence: A Mapping of Serious Violations of International Human Rights and Humanitarian Law in Lebanon, 1975–2008,” A report developed in partnership with Saint Joseph University and the Center for the Study of the Modern Arab World, 2013.
المركز الدولي للعدالة الانتقالية، "إرث لبنان من العنف السياسي: مسح للإنتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ما بين عامي ١٩٧٥ و٢٠٠٨"، ٢٠١٣.

International Committee of the Red Cross (ICRC). “Lebanon: Opinion Survey and In-Depth Research, 2009,” 2009.

International Committee of the Red Cross (ICRC). “The Families of People Missing in Connection with the Armed Conflicts that Have Occurred in Lebanon Since 1975: An Assessment of Their Needs,” 2013.

International Committee of the Red Cross (ICRC). “The People on War Report: ICRC worldwide consultation on the laws of war,” 1999.

Kaminski, Marek and Monika Nalepa. “Judging Transitional Justice: A New Criterion For Evaluating Truth Revelation Procedures.” Journal of Conflict Resolution 50:3 (2006): 383–408.

Kanafani-Zahar, Aïda. “Displacement, Return and Reconciliation in Mount Lebanon.” Accord 24 (2012): 46–48.

Karam, Karam. “The Taif Agreement: New order, Old framework.” Accord 24 (2012): 36–39.

Kfoury, Liliane. “Documenting Memories of War: UMAM and The Hanger.” Accord 24 (2012): 18–19.

Khalaf, Samir. Beirut Reclaimed: Reflections on Urban Design and the Restoration of Civility. Beirut: Dar An-Nahar, 1993.

Khalaf, Samir. Civil and Uncivil Violence in Lebanon. New York: Columbia University Press, 2002.

Khalidi, Walid. Conflict and Violence in Lebanon: Confrontation in the Middle East. Cambridge: Center for International Affairs, Harvard University, 1979.

Krueger, Richard A. and Mary Anne Casey. Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research. 4th ed. Thousand Oaks: Sage Publications, 2009.

Larkin, Craig. “Beyond the War? The Lebanese Postmemory Experience.” International Journal of Middle Eastern Studies 42:4 (2010): 615–635.

Leebaw, Bronwyn Anne. “The Irreconcilable Goals of Transitional Justice.” Human Rights Quarterly 30:1 (2008): 95–118.

Lundy, Patricia and Mark McGovern. “Whose Justice? Rethinking Transitional Justice from the Bottom Up.” Journal of Law and Society 35:2 (2008): 265–292.

Maalouf, Lynn. “Where do we stand today in Lebanon in terms of the truth and the issue of the missing and disappeared?” Presentation at ACT for the Disappeared Conference, 2012.

Nashabe, Omar. “Lebanon: A Failed Version of Justice.” Al-Akhbar, August 25, 2012.

Nasr, Salim. “New Social Realities and Post-War Lebanon: Issues for Reconstruction,” in Recovering Beirut: Urban Design and Post-War Reconstruction. Edited by S. Khalaf and P.Khoury, 63-80. Leiden: Brill, 1993.

Nassar, Habib. “Too little justice in Lebanon.” Now, 2011.

Oomen, Barbara. “Examining the Implications of Global Justice.” Paper based on presentation at the Re-Imagining Peace International Seminar, Charlottesville, 2004.

Pham, Phuong, Patrick Vinck, and Harvey Weinstein. “Human rights, transitional justice, public health and social reconstruction.” Social Science and Medicine 70:1 (2010): 98–105.

Pouligny, Beatrice. “The Forgotten Dimensions of Transitional Justice Mechanisms: Cultural Meanings and Imperatives for Survivors of Violent Conflicts.” Paper presented at the Global Justice, Local Legitimacy International Conference, University of Amsterdam, 2005.

Rotberg, Robert and Dennis Thompson. Truth v. Justice: The Morality of Truth Commissions. Princeton: Princeton University Press, 2010.

Salibi, Kamal. A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered. Berkeley: University of California Press, 1990.

Seidman, Steven. “The Politics of Cosmopolitan Beirut: From the Stranger to the Other.” Theory, Culture & Society 29:2 (2012): 3-36.

Silva, Romesh, Tamy Guberek, and Daniel Guzmán. “Reflections on the Challenges and Opportunities of Incorporating Demographic Analyses of Displacement into Transitional Justice Processes,” Paper presented at the International Population Conference, busan South Korea, 2012, http://iussp.org/sites/default/files/event_call_for_papers/silva-et-al-Working-Paper-2012.pdf. ICTJ/Brookings Project on Transitional Justice & Forced Displacement, 2012.

Stewart, David, Prem N. Shamdasani, and Dennis Rook. Focus Groups Theory and Practice. 2nd ed. Thousand Oaks: Sage Publications, 2007.

Thoms, Oskar N.T. and James Ron. “Public Health, Conflict and Human Rights: Toward a Collaborative Research Agenda.” Conflict and Health 1:11 (2007).

Thoms, Oskar N.T., James Ron, and Roland Paris. “The effects of transitional justice mechanisms. A summary of empirical research findings and implications for analysts and practitioners.” Ottawa: Center for International Policy Studies, University of Ottawa, 2008.

Thoms, Oskar; James Ron, and Roland Paris. “State-Level Effects of Transitional Justice:What Do We Know?.” International Journal of Transitional Justice 4 (2010): 329-354.

Truth and Reconciliation Commission of South Africa. Truth and Reconciliation Commission of South Africa Re port: Volume I. 227-229, 1998.

Tueni, Ghassan. Une Guerre pour les Autres. Paris: Lattès, 1985.

UMAM Documentation and Research. "Memory at Work: A Guide for Lebanese on Peace and War," Memory at Work Series, 2013. Web Portal Accessed at http://www.memoryatwork.org, 2013.

UMAM Documentation and Research. "To the Death: A Survey of the Continuing Experiences Among Fighters from Lebanon's Civil Wars," Memory at Work Series, 2011.

United Nations Population Division. "Population and Vital Statistics Report." Statistical Papers: Series A, Vol. LXV, 2013.

United Nations. "United Nations Approach to Transitional Justice." Guidance note of the secretary-general, 2010.

Vinck, Patrick, Phuong Pham, Suliman Baldo and Rachel Shigekane. Living with Fear: A Population-Based Survey on Attitudes About Peace, Justice, and Social Reconstruction in Eastern Democratic Republic of Congo. Berkeley: Human Rights Center, 2008.

Zalaquett, Jose. "Confronting Human Rights Violations Committed by Former Governments: Principles Applicable and Political Constraints," in Transitional Justice. Edited by Neil J. Kritz, 3–31. United States Institute of Peace Press, 1995.

الملحق I: دليل مناقشات مجموعات التركيز

١ أ. كيف تلخص بجملتين ما تعرفه عن الحرب الأهلية اللبنانية؟ (لمجموعات الشباب)

١ ب. أين كنت خلال الحرب اللبنانية؟ (للمجموعات الأكبر سناً الإستعلام عن أين كانوا خلال مطلع الحرب عام ١٩٧٥). ما كان شعورك آنذاك؟

٢. ما الأثر/ التغيير/ البصمة التي تركتها حرب ١٩٧٥-١٩٩٠ على حياتك / حياة أهلك بشكلٍ عام؟ (لفئتي الأعمار)

- ماذا بالنسبة لعائلتك؟
- ومجتمعك أو "محيطك"؟
- ماذا عن وطنك؟

٣ أ. ما هي أهم تجارب الحرب بالنسبة لك (أو لعائلتك)؟ لماذا؟ تحدث بالتفصيل.
(للمجموعات الأكبر سناً)

٣ ب. ماذا يخبرك أهلك عن الحرب؟ (لمجموعات الشباب)

٣ ج. كيف تنظرن كنساء إلى تجربة الحرب؟ هل من إختلاف بين تجربة النساء والرجال؟ كيف؟ لماذا؟ (لكافة مجموعات النساء)

٤. في أي إطار، إذا ما كان، تتحدث عن تجربة الحرب؟ لماذا؟ وسَع. (لفئتي الأعمار)

٥. من وجهة نظرك، كيف يجب التعامل مع هذه التجارب؟ لماذا؟ كيف؟ الرجاء التفسير. (لفئتي الأعمار)

٦. أتعتبر أن شكلاً من أشكال الإعتراف ضروري؟ إذا نعم، لماذا ومن يجب القيام بهذه المهمة؟ إذا كلا، لماذا لا؟ (لفئتي الأعمار)

٧. برأيك ما هي أفضل طريقة للإعتراف؟ لماذا؟ (لفئتي الأعمار)

٨ أ. هل تهمك معرفة ماذا حصل للناس خلال فترة الحرب؟ (لفئتي الأعمار)

- للعائلات؟
- للجماعات أو "المحيط"؟
- للبلد؟

٨ ب. إذا نعم، من برأيك عليه توفير الأجوبة؟ (لفئتي الأعمار)

- هل يجب العودة إذا لزم الأمر إلى الحكومة؟ "المحيط"؟ المدارس؟ العائلات؟ المؤسسات الأخرى؟

٩. هل سمعت يوماً أو تابعت القضايا المستمرة المتعلقة بضحايا الحرب الذين لا يزالوا يعانون (الخطف، الحجز، النزوح...) ما رأيك بهذا الموضوع؟

١٠. سأقول كلمتين وأود منك أن تخبرني أيهما تخطر على بالك في المقام الأول ولماذا؟ (لفئتي الأعمار)
- المصالحة
- الذاكرة

١١. ماذا تعني لك العدالة بعد الحرب؟ ولمجتمعك أو «محيطك»؟ (لفئتي الأعمار)

- أعطنا مثالاً (محاولة الحصول على تفسيرات ضمن سياق العدالة).

١٢. ماذا تعني لك الكلمتين التاليتين؟ (لفئتي الأعمار)
- مسؤول
- عدالة

١٣. هل برأيك يجب تحميل أي شخص أو مجموعات المسؤولية؟ (لفئتي الأعمار)

١٤. كيف لهذه الخطوة أن تُفيد أو تؤذي البلد؟ فسر. (لفئتي الأعمار)

١٥. ماذا تعني لك عملية تضميد الجروح؟ (لفئتي الأعمار)

١٦. أي نوع من التعويضات يجب منحه؟ مادية، رمزية؟ لمن ومن قبل من؟ (لفئتي الأعمار)

١٧. منذ نهاية فترة الحرب (١٩٧٥-١٩٩٠)، هل علمت بأي خطوات قامت بها الحكومة اللبنانية بما يخص عواقب الحرب؟ إذا نعم، ما هي؟ ما رأيك بهذه المحاولات؟ إذا كلا، ماذا تستطيع الحكومة فعله بما يخص هذا السياق؟ (لفئتي الأعمار)

١٨. سأقرأ تصريحين. أرجو منك إعلامي أي تصريحٍ يصف بطريقة مثلى مشاعرك/آرائك:

- لا جدوى من إعادة إحياء كل هذه الذكريات الأليمة. يحاول الناس نسيان هذه الفترة. دعونا ننسى ونسامح والوقت كفيلٌ بتضميد الجراح.

- يجب القيام بعملٍ ما. لا يمكن أن نكمل حياتنا على هذا النحو وكأن شيئاً لم يكن. علينا مواجهة ماضينا مهما كلف الثمن.

الرجاء التفسير.

١٩أ. هل برأيك يجب أن يتعلم جيل الشباب عن الحرب؟ (للمجموعات الأكبر سناً)

١٩ب. ماذا برأيك يجب أن تتعلم عن الحرب؟ (للمجموعات الأصغر سناً)

٢٠. في النهاية، تخيل وضعاً مثالياً حيث تملك الفرصة لتغيير كيف يتعامل المجتمع اللبناني مع ماضيه المتأثر بالحرب. على ماذا قد تصب إهتمامك؟

الملحق II: وصف عملية جمع البيانات

امتدّ استقدام المشاركين في المشروع وتنظيم اجتماعات مجموعات التركيز على مدى خمسة أسابيع أي من ١٧ تموز/يوليو إلى ١٥ آب/أغسطس ٢٠١٣. وكلّفَ المركز الدّولي للعدالة الانتقاليّة فريقًا متخصصًا من شركة ماينرز المحدودة (Miners Inc.) مهمّة استقدام المشاركين. وقد تألّف الفريق بشكلٍ أساسيٍّ من نساءٍ في منتصف العمر اختُرن من كل حيّ سكنيّ.

في الأحياء والمناطق التي يسهل الوصول إليها بشكلٍ أفضل، على غرار الأشرفية والحمراء، دنا فريق استقدام المُشاركين من الناس في الشّارع، فعرّفهم إلى المشروع بإيجاز ثم أجرى مقابلات قصيرة معهم لجمع بيانات محدّدة من ضمنها: النّوع الاجتماعيّ، والعمر، والعنوان، وتأثّرهم بالحرب تأثّرًا مباشرًا أم غير مباشر، واستعدادهم للمشاركة في جلسة مدتّها ساعتين لمناقشة تجاربهم وتصوّراتهم حول مستقبل لبنان. وفي وقتٍ لاحق، تمّ الاعتماد على هذه البيانات لتحديد المشاركين النّهائيّين، وذلك على أساس أهليّتهم الموضوعية واستعدادهم للمشاركة.

من جهة أخرى، لجأ فريق استقدام المُشاركين إلى معارف مألوفة ضمن الأحياء الخمسة، فأطلعوهم على أهداف الدراسة وحصلوا منهم على إحالات إلى سكان الحي الذين يناسبون مجموعة التركيز. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأساليبَ المبنية على الإحالات هذه اتُبعت بهدف استقدام المشاركين. غير أنّ ممثلي شركة ماينرز لم يتمكّنوا من توفير معلومات إضافيّة عن تفاصيل عمليّة استقدام المشاركين الدّقيقة.

تمّ الاعتماد على دليلٍ خاص وُضع بالتعاون مع المستشارين الأكاديميين واللجنة الاستشارية للمشروع[٧٦]، بغية التأكّد من تغطية المحاور العامّة عينها في المجموعات جميعها. وقد وُضِعَ الدليل هذا بهدف تأمين المرونة الكافية والسّماح بإجراء حوارٍ مفتوح.[٧٧] هذا وخضع الدّليل لاختبار في ثلاثة أحياء، فعُدّلت على ضوئه، صّياغة الدليل ولغته وتسلسل الأسئلة فيه على نحوٍ يتناسب وردود الفعل المُسجّلة.

أدارَ الباحثون اللّبنانيون النقاشات ووجهوها في كلّ من مجموعات التركيز وذلك لضمان تطبيق المنهجيّة بشكلٍ متّسقٍ ولإتاحة المجال أمام القيام بمقارنة مُجدية بين مجموعات التركيز الخمس عشرة. وقد تُلِيَ بروتوكول الموافقة الواعية في مُستهل كلّ جلسة من جلسات مجموعات التركيز، وذلك لإعلام المُشاركين بحقّهم في رفض المشاركة في الدراسة والانسحاب منها في أيّ وقت من الأوقات. كمَا حثّ الباحثون المشاركين بلطفٍ على الانخراط في النقاش حين اقتضت الحاجة وأمعنوا النظر في عمق النقاش ودقائق معانيه عملًا بما هو مطلوب. كما ساهم الباحثون في ترميز البيانات وتحليلها.

راقب الباحثون الجوّ العامّ المهيمن على كلّ مجموعة تركيز وتضمّن ذلك الانتباه إلى التّفاعل الجماعيّ وطرق التّخاطب، وأسلوب المشاركين في التّحدث عن الحرب وعن المواضيع المختلفة التّي تمّت إثارتها بما يخصّ حياة اليوم المتعلّقة بالماضي وبقضايا أخرى ترتبط بإرث أعمال

---

٧٦ تمّ تأسيس هذه اللجنة لتأمين النصح حول المشروع. تضم اللجنة تسعة أكاديميين وممثلين لبنانيين عن هيئات المجتمع المدني، بما في ذلك مجموعات الضحايا.

٧٧ مراجعة الملحق I دليل مناقشات مجموعات التركيز.

الحرب. تمّ تسجيل كلّ نقاش بحيث عملَ مديرو الحوار على تدوينه في مخطوطات تمّت ترجمتها إلى اللّغة الانجليزيّة. بعد ذلك، تمّ إدخال هذه التّرجمات إلى برنامج اسمه ديدوز (Dedoose)، وهو عبارة عن برنامج على الكمبيوتر مصمّم خصّيصًا لإجراء تحليل نصوص المُقابلات على أساس مناهج تحليلٍ نوعيةٍ وكميّة ومختلطة.[٧٨] وتم وضع دليل الرموز المخصص لتحديد جوانب النصوص الأكثر بروزاً، ثم تم إدخاله إلى برنامج ديدوز الذي اعتُمدَ عليه لاحقاً في تحليل النّصوص الخمسة عشر كلّها. وقد أجرى محلّلون ثلاثة تحاليل تجريبيّة للنّصوص ببعديها الأوّل والثّاني، فيما استخدم ثلاثة محللين آخرين برنامج ديدوز لتقييم موثوقيّة عمليّة التّرميز.

٧٨ للمزيد من المعلومات حول برنامج ديدوز (Dedoose) الرجاء مراجعة فريق تطوير ديدوز، Dedoose Development Team (2013).

المركز الدولى للعدالة الإنتقالية - نيويورك
دائرة هانوفر، طابق ٢٤
نيويورك، ن.ى. ١٠٠٠٤
هاتف: +١ ٩١٧ ٦٣٧ ٣٨٠٠

المركز الدولى للعدالة الإنتقالية - لبنان
مبنى بارك تاور، الطابق الثالث
شارع خليل باشا
الصنائع، بيروت، لبنان
هاتف/فاكس: +٩٦١١ ٧٣٨ ٠٤٤